جامعة الشهيد حمّه لخضر بالـوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

الشيخ أحمد السرهندي
وجهوده الدعوية

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية

تخصص :دعوة وإعلام واتصال

إعـداد الطالبـة
- بنين دلال

إشـراف الدكتور :
خضرة علي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
عبد الرحمان طيبي	أستاذ	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	رئيسا
خضرة علي	دكـتور	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مشرفا ومقررا
محمد الصديق قادري	دكـتور	جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي	مناقشا

السنة الجامعية :1437 هـ – 1438 هـ / 2016 م – 2017 م

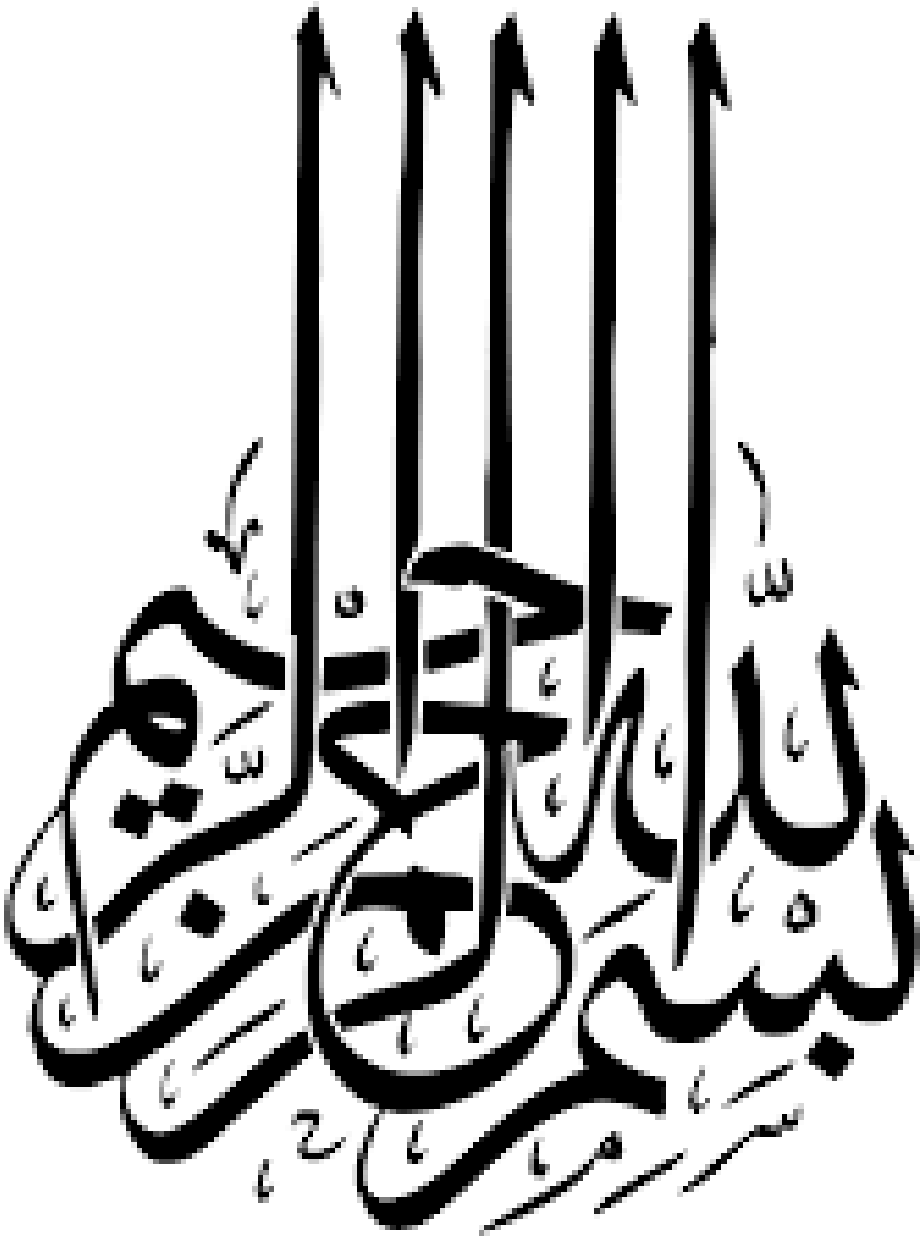
بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا
عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ
نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ
تَبۡدِيلَا ٢٣ ﴾

صدق الله العظيم

سورة الاحزاب :الآية23

شكر وعرفان

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[سورة إبراهيم :07]

الحمد لله الذي أعانني على كتابة هذا البحث وإنجازه ، و صلى الله على عبده المصطفى ونبيه المجتبى والذي بذكره تتم الصالحات . . أمّا بعد:

** أتقدم بخالص الشكر والعرفان والتقدير إلى من كان إشرافه عليّ شرفا لي فضيلة الأستاذ والدكتور " خضرة علي " لما قام به من متابعة وقراءة وتصحيح وتوجيه ولما إتّسم به من سعة صدر وتواضع ،فبارك الله فيه وجزاه الله عني كلّ الخير على ما قدمه لي .

**كما لا أنسى أن أشكر الأستاذ " معمر قول " الذي أمدني ببعض المراجع ولم يبخل عليّ بنصائحه وتوجيهاته .

** وكل من أمدّني بيد المساعدة من قريب أو بعيد .

والشكر لله من قبل ومن بعد .

دلال

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلاة والدعوات ، إلى أغلى إنسانة **

في الوجود * أمي الحبيبة * أطال الله في عمرها .

** إلى من عمل بكد في سبيلي وعلّمني معنى الكفاح وأوصلني إلى ما أنا عليه * أبي الغالي * أدامه الله لي .

** إلى إخوتي وأخواتي كل واحد بإسمه وعلى رأسهم أخي " خيرالدين " صاحب الخلق الضيق الذي تحمّل معي مشقة كتابة هذا البحث كاملا .

** إلى من تذوقت معهما أجمل اللحظات . . وتجاوزنا معا كل العقبات . . واللتان أكّن لهما في قلبي أحلى وأغلى الذكريات . . صديقتاي وحبيبتاي في الله : * زواري فرحات عائشة * و * سحارة نسرين *

وإلى كل الصديقات والزميلات .

إلى كل من ساعدني بغية إتمام هذا العمل .**

دلال

ملخص البحث :

تعد هذه الدراسة من الدراسات التي تهدف إلى التعريف بالشيخ أحمد السرهندي (رحمه الله) والذي هو أحد أعلام الإسلام الذين أظهرهم الله تعالى وهيأهم للدفاع عن كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ والتصدي للإنحرافات بل للطغيان الذي كان سائدا أمة الإسلام في الهند على يد ملكها الطاغية الظالم المبتدع " جلال الدين أكبر" وقد أسقط دينه الذي جاء به من عند نفسه وسمّاه " بالدّين الإلهي " بعد أن فتن أمّة الهند جميعا . فقمت بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة وفصلين .

حيث تضمن الفصل الأول نبذة عن حياة الشيخ السرهندي الشخصية من مولده ونشأته إلى وفاته، وفي الفصل الثاني جهوده الدعوية ، إستعرضت فيه منهجه في الدعوة والأساليب والوسائل التي إتبعها وجهوده الإصلاحية والتجديدية ، بالإضافة إلى خاتمة وفيها ملخص لنتائج هذه الدراسة .

Research Summary :

This study is one of the studies aimed at the knowledge of Sheikh Ahmad Al-Sarhandi (may God have mercy on him) which is one of the flags of Islam, which Allah showed them and prepared them to defend the book of Allah and the Sunnah of His Prophet, and to address the deviations, but the tyranny that prevailed in the Nation of Islam in India "Jalaluddin Akbar" has dropped his religion, which came from himself and called him "the religion of God" after the fascination of the nation of India all. I divided this research into an introduction and two chapters.

The first chapter contains a summary of the personal life of Sheikh Al-Sarhandi from birth to death. In the second chapter, his advocacy efforts reviewed his approach to the call, methods and methods followed by his reform and renewal efforts, in addition to a summary of the results of this study.

قائمة الرموز والإشارات :

الرمز المستخدم	معناها
ج	جزء
ط	طبعة
ص	صفحة
د ب	دون بلد
د س	دون سنة
د ط	دون طبعة
د د	دون دار
د ع	دون عدد
م	ميلادي
هـ	هجري

مقدمة

المقدمة :

الحمد لله وليّ كل نعمة المتكفّل بنصرة دينه وحماية كتابه وتأييد الصالحين من عباده ، والصلاة والسلام على خير الأنام ، نبيّنا محمد ﷺ وآله وأصحابه أجمعين أمّا بعد :

إنّ تفشّي الضلالة في زمننا – وفي أزمان مضت – وشيوع الجهالة وإستثراء الفساد أضحى خرقا واضحا وخرابا ملاحظا للبلاد وهلاكا للعباد ، فإنّ الله تعالى قد خصّ بعد الرسل والأنبياء(عليهم الصلوات) من يجدّد للناس صلتهم بدينهم ويبيّن أوامره ونواهيه إمتثالا لقوله ﷺ :((إنّ الله عزّ وجلّ يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها)) (أنظر تخريجه لاحقا ص31) فأصبح من العباد من يتكفّل بمهمّة التوعية ويضطلع بواجب الدعوة مجددا لسنّة داثرة ، ناهضا بأعباء إحياء ما أفضى الزمان إلى إماتته ، مجدّدا صلة أهل الأرض بالسماء.

وقد منّ الله علينا وعلى الأمّة أجمع بعباد مخلصين وحماة للدّين كانوا بمثابة الحصن الحصين لنصرة دين الله الحق، زخرت بهم القارة الهندية في مختلف الأعصروالدهور– لاسيما القرن الحادي عشر للهجرة – عبادا إجتباهم الله لمهمّة جليلة تقوم على الجهود الدعوية الضاربة أطناب أصولها في الجهود الدعوية لعباد الله الأوائل في برنامج الدعوة إلى الله وإصلاح شأن العباد والبلاد . ومن بين هؤلاء الشيخ الأجّل الإمام العارف بالله أحمد الفاروقي السرهندي(رحمه الله) صاحب الشخصية الفريدة التي حازت من القبول والعظمة والصّيت البعيد في جهوده الموفقة لتجديد الدين ، ما لم يحظ به أي مصلح وداع في تاريخ الإصلاح والتجديد في القرون الأخيرة ، حتى إنّ إشتهاره بـ" مجدّد الألف الثاني" طغى على إسمه ، وحلّ محلّه ، ولا يعرفه كثير من المثقفين إلاّ بهذا اللّقب ، هذا في جانب ، وفي الجانب الآخر كتب لجهوده التجديدية العظيمة من النجاح والتوفيق ، ومن النتائج الباهرة المستمرة ، ما يندر نظيره في تاريخ الدعوة والإصلاح والتجديد في الإسلام .

إنّ عصرنا هذا يحتاج إلى مثل هذا الرجل العظيم وإلى هذا المثال العملي أكثر من كل عصر مضى ، فكيف كان ذلك المنهج الذي إستطاع به إنسان أعزل لا يملك حولا ولا طولا ، وهو في زاوية من

زواياه ، أن يغير مجرى التاريخ ؟ ويعيد للإسلام مجده بعد أن تكفّل الله لنا بحفظه وهذه سنّة الله في خلقه ، وسنّته كذلك في الدنيا أنّ الظلام مهما زاد وشاع في أرجاء الدنيا فلابد من بزوغ الفجر وإنبلاج الصبح المشرق .

– إشكالية البحث :

يعتبر الشيخ أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي أحد دعاة الأمّة المفوّهين ورائد من رواد الصحوة الإسلامية في الهند في القرن الحادي عشر الهجري ومن الذين كان لهم السبق في تطور أساليب ومناهج الدعوة الإسلامية ، من خلال ما كانت تنتجه حركته الإصلاحية التجديدية وجهوده الدعوية العظيمة في سبيل نشر دعوة الله الحق ورفع راية الإسلام ونصرة دين الله ، ومن هذا المنطلق يمكن أن نطرح الإشكالية التالية :

- من هو الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي ؟ وفيما تمثلت أبرز جهوده الدعوية ؟

ويمكن تفريغ هذه الإشكالية في صورة أسئلة جزئية كما يلي :

1)- ما طبيعة العصر الذي نشأ فيه الشيخ السرهندي ؟
2)- ما هي أهم الآثار التي خلّفها ؟
3)- فيما تمثلت أهم إنجازاته ومواقفه في مسيرته الدعوية ؟
4)- ما هي أهم الوسائل والأساليب التي إنتهجها في دعوته ؟
5)- فيما تمثلت جهوده الإصلاحية والتجديدية ؟

– عنوان الموضوع :

وإنطلاقا من هذه الإشكالية فقد رأينا أن يكون العنوان مصاغا على النحو الآتي :(الشيخ أحمد السرهندي وجهوده الدعوية).

– أهمية الموضوع :

تكمن أهمية هذا الموضوع في عدة أمور منها :

1)- البحث حول أحد أهم أعلام الإسلام في المجتمع الهندي ودوره الكبير في الدعوة والإصلاح .

2)-إبراز الجوانب التي تميزت بها شخصية الشيخ أحمد السرهندي .

3)-بيان مكانة السرهندي بين علماء الأمة ورجال الفكر والدعوة ، مما يعطي للدراسة قيمتها وأهميتها.

4)-بيان الجهود التي قام بها الشيخ السرهندي في الدعوة .

– أسباب إختيار الموضوع :

هناك جملة من الأسباب التي دفعتني لإختيار هذا الموضوع ، الذاتية منها والموضوعية وهي :

1/- تسليط الضوء على أحد الأعلام في الدعوة الذين لا نعرف لهم إلاّ الأسماء .

2/- ربط شباب هذه الأمّة من دعاة ومصلحين بماضيها المجيد ، لأنه لا يصلح آخر هذه الأمّة إلاّ بما صلح به أولها .

3/- الرغبة الذاتية والشعور بأهمية الموضوع .

4/- حبّ الإطلاع والمعرفة ، كوني لم أسمع بهذه الشخصية العريقة من قبل إلاّ بعد دراستي لها.

5/- الرغبة في إماطة اللّثام عن بعض الجوانب في جهود وإصلاحات السرهندي .

– أهداف الموضوع :

إنّ الهدف من دراستي لهذا الموضوع هو إبراز النقاط التالية :

1/- الإسهام في التعريف بشخصية الإمام السرهندي ، إعترافا بفضائله وتخليدا لآثاره .

2/- التعرّف عن منهجه وجهوده في الدعوة إلى الله .

3/- التعرّف على إنجازاته ومواقفه في مسيرته الدعوية .

4/- معرفة أهم الوسائل والأساليب التي إتّبعها في دعوته .

5/- تشجيع عملية البحث والتوسع لمعرفة المزيد عن هذه الشخصية .

- الدراسات السابقة :

نظرا لحداثة الموضوع وعدم تناوله كدراسة جامعية فإنّني لم أجد دراسة أكاديمية سابقة حول الشخصية محل البحث ، بل حتّى غير أكاديمية ، فيما إطّلعت عليه .

- صعوبات البحث :

لم تكن معالجة هذا الموضوع بالأمر السهل إذ واجهتني عدّة صعوبات تتمثل فيما يلي :

1)- صعوبة الإلمام بجوانب الموضوع نظرا لسعته وتوسعه .
2)- قلّة المراجع وصعوبة الحصول على المعلومات .
3)- ضيق الوقت وتزاحم الأعمال وقت إعداد المذكرة .
4)- تكرار نفس المعلومات في الكثير من المراجع .

- المصادر والمراجع :

أمّا بخصوص المصادر والمراجع التي إعتمدت عليها في هذه الدراسة فهي كالتالي :

1)- مصادر ومراجع ذات علاقة بالموضوع ، أذكر منها كتاب " رجال الفكر والدعوة (الجزء الثالث الخاص بالإمام السرهندي حياته وأعماله) والذي يعتبر حجر الأساس لهذه الدراسة .
2)- مجلاّت ومقالات ومواقع إلكترونية .

- منهج البحث :

إتبعت في دراستي هذه المنهج الوصفي في حديثي عن سيرة الشيخ السرهندي بحيث يتم وصف الأحداث والوقائع المتعلقة بالشخصية المدروسة ، وكذا في عرض جهوده ومؤلفاته.

– منهجية البحث :

أما فيما يخص منهجيتي الخاصة في بحثي فقد خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة في الهامش وكذا عزوت الآيات القرآنية إلى أرقامها وأسماء سورها في الهامش أيضا ، وإلتزمت التهميش بطريقة ذكر إسم المؤلِّف ثم المؤلَّف ... وعند إستعمال نفس الكتاب في مواضع أخرى في البحث ، أكتفي بذكر المؤلَّف ورقم الصفحة.

وأما فيما يخص التراجم فلم أترجم للأعلام الوارد ذكرهم في معرض كلامي نظرا لقلّتهم ، فضلا عن المذكور أسماؤهم في الفقرات المنقولة ، وكذلك الأمر بالنسبة لتراجم البلدان فلم أقم به.

وفي الأخير قمت بوضع مجموعة الفهارس العامة المطلوبة وهي فهرس الآيات القرآنية وفهرس الأحاديث النبوية الشريفة وكذلك فهرس الأبيات الشعرية ثم فهرس الموضوعات مع قائمة المصادر والمراجع .

– خطة البحث :

يتضمن مضمون هذا البحث : مقدمة وفصلين وخاتمة .

حيث تضم المقدمة جميع عناصرها من إشكالية إلى أسباب إختيار الموضوع إلى الهدف منه...

تحدثت في الفصل الأول على حياة الشيخ أحمد السرهندي ، ويندرج تحته ثلاثة مباحث ، الأول بعنوان التعريف بالإمام السرهندي ، أمّا المبحث الثاني تناولت فيه حياته العلمية ، والمبحث الثالث يتضمن آثاره وأهم إنجازاته .

أمّا في الفصل الثاني فقد تناولت فيه الجهود الدعوية للشيخ أحمد السرهندي ، حيث يندرج تحته ثلاثة مباحث ، الأول فيه مفهوم الدعوة ومنهج السرهندي فيها ، أمّا المبحث الثاني فكان بعنوان الأساليب والوسائل التي إنتهجها السرهندي في الدعوة ، أمّا المبحث الثالث جهوده الإصلاحية والتجديدية . ثم حوصلت ما توصّلت إليه من نتائج بخاتمة مسنودة بملاحق أظنها مفيدة ومدعمة للموضوع . وهي في مجملها كالآتي:

مقدمة :

الفصل الأول : الحياة الشخصية للشيخ أحمد السرهندي .

المبحث الأول : التعريف بالإمام السرهندي .

المطلب الأول : مولده ونشأته .

المطلب الثاني : المحن التي تعرض لها الشيخ .

المطلب الثالث : عصره .

المبحث الثاني : حياته العلمية .

المطلب الأول : طلبه للعلم ومراحل تكوينه .

المطلب الثاني : شيوخه وتلاميذه .

المطلب الثالث : ثناء العلماء عليه ، وفاته .

المبحث الثالث : آثاره وأهم إنجازاته .

المطلب الأول : آثاره العلمية ومؤلفاته .

المطلب الثاني : أهم إنجازاته ومواقفه في مسيرته الدعوية .

الفصل الثاني : الجهود الدعوية للشيخ أحمد السرهندي .

المبحث الأول : مفهوم الدعوة ومنهج السرهندي فيها .

المطلب الأول : تعريف الدعوة لغة وإصطلاحا .

المطلب الثاني : منهج السرهندي في الدعوة إلى الله تعالى .

المبحث الثاني : الأساليب والوسائل التي إنتهجها السرهندي في الدعوة .

المطلب الأول : الأساليب التي إنتهجها في دعوته .

المطلب الثاني : الوسائل التي إتبعها في دعوته .

المبحث الثالث : الجهود الإصلاحية والتجديدية للإمام السرهندي .

المطلب الأول : جهوده في التصوف والسلوك .

المطلب الثاني : جهوده في التجديد .

المطلب الثالث : الإمام السرهندي بين مادحيه وناقديه .

هذا وبفضل الله وتوفيقه إستطعت أن أتغلّب على الكثير من المشاكل والصعوبات التي إعترضتني أثناء إعداد هذه المذكرة ، عسى أن تكون لبنة في صرح إماطة اللّثام عن شخصية الشيخ السرهندي.

وأخيرا... وليس آخرا... نأمل من الله عزّ وجل بفضله ومنّه وعطائه أن يوفقني في الوفاء بحق هذه المرحلة الهامة ، وما يلزمها من متطلبات ويضيء جوانبها من معطيات .

هذا... وإن وفّقت في ذلك فمن الله عزّ وجل صاحب الفضل ومعطيه ومانحه ، وإن أخفقت فحسبي أنني إجتهدت وأسأل الله العلي القدير أن لا أحرم أجر المجتهدين .

وبالله التوفيق.

الفصل الأول

الحياة الشخصية للشيخ أحمد السرهندي

- ❖ المبحث الأول : التعريف بالإمام السرهندي .
- ❖ المبحث الثاني : حياته العلمية .
- ❖ المبحث الثالث : آثاره وأهم إنجازاته .

المبحث الأول: التعريف بالإمام السرهندي.

المطلب الأول: إسمه و مولده ، نسبه و أسرته ، نشأته.

الفرع الأول: إسمه ومولده.

هو أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين الفاروقي ، يعود نسبه للفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ " السرهندي نسبة إلى بلدة سرهند أو سهرند " – بلدة عظيمة بين دهلي ولاهور– و هو المشهور : بمجدّد الألف الثاني . ولد ليلة الجمعة الرابع عشر من شوال (971هـ–1563م) في سرهند و عرض له بعد أيام من ولادته ما يعرض على الصبيان من مرض فجاء به والده إلى شيخه شاه كمال القادري فقال له شيخه: لا تخف ، فتوسّم الشيخ فيه النجابة والصلاح[1].

الفرع الثاني: نسبه وأسرته.

ينتمي الإمام السرهندي إلى سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ [2] فتنتهي سلسلة نسبه بإحدى وعشرين واسطة إلى سيدنا أمير المؤمنين عمر الفاروق ﷺ ونسبه كما يلي: الشيخ أحمد (الإمام السرهندي) بن عبد الأحد بن زين العابدين بن عبد الحي بن محمد بن حبيب الله بن الإمام رفيع الدين بن نصير الدين بن سليمان بن يوسف بن إسحاق بن عبد الله بن شعيب بن أحمد بن يوسف بن شهاب الدين علي فرخ شاه بن نور الدين بن محمود بن سليمان بن مسعود بن عبد الله الواعظ الأصغر بن عبد الله الواعظ الأكبر بن أبي الفتح بن إسحاق بن إبراهيم بن ناصر بن عبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ ، والشيخ شهاب الدين علي فرخ شاه الكابلي جدّه الخامس عشر ، مؤسس هذه الأسرة الشهيرة ، وأنّ أكثر الفضلاء النوابغ ، والمصلحين المعروفين وكبار

[1] خير الدين الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ج7 ، ط15 ، آيار2002 م ، ص184.

[2] كان الإمام السرهندي يعتز بهذه الصلة النسبية بسيدنا عمر الفاروق ، وكان يرى حميته الدينية من مقتضيات هذه النسبة وآثارها الطبيعية ، أنظر: أبو الحسن علي الحسني الندوي ، الإمام السرهندي حياته وأعماله ، رجال الفكر والدعوة ، دار القلم للنشر ، الكويت ، ج3 ، ط2 ، 1414هـ/1994م ، ص113.

المشايخ وأصحاب السلاسل والطرق الصوفية الذين يتصل نسبهم بسيدنا عمر الفاروقﷺ كالشيخ العارف فريد الدين كنج وشكر وغيره ، ينحدرون من هذه السلسلة[1].

أبناؤه الأمثال:

رزق الإمام السرهندي بسبعة أبناء ، توفي إثنان منهما في الصغر في حياة الإمام ، وهما محمد فرخ ومحمد عيسى ، وكان إبنه محمد أشرف مات في أيام الرضاعة وتوفي إبنه الأكبر الشيخ محمد صادق بعد الفراغ من تحصيل العلوم الدينية والسلوك عام 1025هـ ، وهو في الخامسة والعشرين من عمره وبقي الثلاثة من أبنائه الأماثل الشيخ محمد سعيد ، والشيخ محمد معصوم والشيخ محمد يحي أحياء ، تتجمّل بهم هذه الأسرة العظيمة ويحق أن يسمى هؤلاء الأربعة السلسلة الذهبية والشموس المضيئة .

وكان الشيخ عبد الباقي أثنى عليهم ، ووصفهم بصفات عالية ، ولقبهم بـ " الجواهر العلوية " وبـ " الشجرة الطيبة " ، وقال أيضا فيهم: هؤلاء فقراء على عتبة الله ، يحملون بين ضلوعهم قلوبا عجيبة[2].

الفرع الثالث: نشأته.

كانت نشأة الشيخ أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي ، في الربع الأخير من القرن العاشر للهجرة وذلك في أيام حكم الإمبراطور المغولي العظيم " أكبر" وقد لقّب الشيخ أحمد بلقب السرهندي نسبة إلى بلده سرهند ، الواقعة بين دلهي عاصمة الهند الحديثة والبنجاب . وكان الشيخ أحمد منذ طفولته مجتهدا في تحصيل العلوم ، حتى تهذّبت نفسه وتفتّحت عيناه على ما صارت إليه حالة المجتمع الإسلامي خاصة ، وبني وطنه بصفة عامة ، من إنحطاط وخمول في المجالات العلمية والأخلاقية بسبب إنهماك الحكام في توطيد ملكهم وإنفاق الأموال في الترف والبذخ ، وهكذا تسرّب الوهن إلى صفوف علماء الدّين ، كما تمكّن الجهل والجمود في عامة المسلمين ، ولمّا إستفحلت هذه

[3] المرجع نفسه ، ص113- 114.

[2] المرجع نفسه ، ص162.

الحالة نذر الشيخ السرهندي خدماته لتهذيب نفوس المسلمين ومقاومة الخرافات والخزعبلات في صفوفهم[1].

[1] الدكتور محي الدّين الألوائي ، الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ، رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر ، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 1406هـ/1986 م ، ص220.

المطلب الثاني : المحن التي تعرض لها الشيخ .

الفرع الأول : سجنه وأسباب إعتقاله في حصن كواليار.

زجّ الإمبراطور المغولي"جهانكير" بالشيخ السرهندي في السجن " بمدينة كواليار " في الهند الوسطى بسبب ثورته على الطغيان والفساد الإجتماعي السائد في البلاد ، ولمّا دخل السجن صار شعلة نور وهداية لنازليه من الجناة والفاسدين ، وصاروا يرجعون إلى الحق ويتمسّكون بالفضيلة ، سواء منهم المسلمون أو غيرهم[1].

ولم تظهر أثار دعوته إلاّ بعد موت السلطان " أكبر" ، وفي عهد إبنه " جهانكير" (1014-1037هـ) ، فقد سار هذا الإبن على نهج أبيه وإضطهد علماء السنّة ونكّل بهم وقرّب إليه علماء الشيعة وإتخذهم بطانة له مثل أبيه في بداية الأمر.

وعندما إشتّد حماس الشيخ أحمد في معارضة الدّين الإلهي: وهو عبارة عن تجميع لمعتقدات وملل ونحل مختلفة في عقيدة واحدة (أي صهر الأديان في دين واحد) الذي إحتوى على الشرك الصريح المتمثل في عبادة الشمس والكواكب ، بدل التوحيد وعلى عقيدة التناسخ مكان البعث والنشور ، وكان "أكبر" يأخذ البيعة من الناس على هذا الدّين الجديد وكانت الكلمة التي يدخل بها الإنسان في هذا الدّين:((لاإله إلاّ الله ، أكبر خليفة الله)) وكان مع هذه الكلمة عهد وميثاق يقول فيه معتنق هذا الدّين:((إنّني – عن رغبة ورضا منّي وحب من قلبي- أفارق دين الإسلام المجازي التقليدي الذي سمعت عنه من آبائي ، وشهدتهم عليه ، وأرفضه وأدخل في الدّين الإلهي الأكبري ، وأقبل مراتب الإخلاص الأربعة في الدّين ، من ترك المال والنفس ، وترك العرض والدّين)) وكان الربا والقمار، والخمر والخنزير حلالا طيبا في هذا الدّين[2] . وما خلّفه من آثار في مناهضة المذهب الشيعي ، وعندما نشط هو وأتباعه في دعوتهم التجديدية لمحاربة البدع والعودة إلى الإسلام إلى أصوله الأولى ، غضب عليه " جهانكير" – بإيعاز علماء الشيعة ورجال القصر- وإعتبر نشاطه خطرا وأمر بالقبض عليه ، وسجنه في حصن كواليار ، ولكن ممّا يوقع الشك في أنّ هذه المحنة وقعت بسبب سوء

[1] المرجع نفسه ، ص221-222.

[2] مرجع سابق ، رجال الفكر والدعوة ، ج3 ، ص99.

فهم لبعض المعاني وخطأ في توجيه بعض العبارات وأنّ السبب العامل ورائها يرجع إلى حمية السلطان " جهانكير " الدينية وغيرته على الإسلام، ونبّه عن عقائد أهل السنة ، وصيانتها من التحريف ، أو أنه إتّخذ هذا الإجراء تحت ضغط بعض كبار العلماء والمشايخ – في عهده– ذوي الوجاهة والنفوذ في بلاطه ولشدّة إلحاحهم عليه ، ولكن " جهانكير" في يوم من الأيام صاحب هذه النفسية الدينية ولم يكن له من ذكاء الحسّ ودقة الشعور في هذه المسألة التي تعلوا على مداركه ، ولا تتعلق بأمور دولته وسلطته وسياسته في البلاد ، ما يثيره على شخصية دينية محترمة ظلّت مرجع الناس ومركز حبهم وإعجابهم وإجلالهم ويتخذ لتأديبه هذا الإجراء الخطير[1]. ونرى أنّ السبب الحقيقي للإعتقال هو ما كان بين الإمام وبين أركان الدولة ، وأمراء البلاط من علاقات خاصة ، وصلات وثيقة وما كان من حبهم وإجلالهم له ، الأمر الذي يوغر الصدور، ويكفي لإستشارة مثل هذا السلطان المرهف الحس الذي خرج على والده ، وأقام ضدّه ثورة قوية و نازل أبناؤه و إعتقل بعضهم حتى تمكّن من عرش الدولة وتولّى زمام البلاد ، و يمكن إضافة إلى ما تقدّم أن يكون السلطان قد إطّلع على تلك الرسائل المثيرة المؤثرة التي كان يكتبها الإمام إلى أركان الدولة و أعضاء البلاط لإصلاح الحال و توجيه الحكومة إلى حماية بيضة الإسلام ، وإيقاظ الحمية الدينية في قلوبهم .

و لكنه سرعان ما عفى عنه ، و هنا يقول الدكتور "حسن الشافعي" أنّه قد إختلفت الروايات بشأن الأسباب التي دفعت الإمبراطور "جهانكير" إلى العفو عن الشيخ أحمد ، فيقال أنّه رأى في المنام من يقول: " ويحك! قد حبست رجلا لا ترى مثله في الصلاح والورع "[2] .

يقول الدكتور" آرنلند " في كتابه الدعوة إلى الإسلام: "كان في عهد السلطان جهانكير عالم سنّي يدعى الشيخ أحمد المجدّد ، إشتهر في عصره بالرد على العقائد الشيعية ، وكان الشيعة ذوي نفوذ في

[1] مقال التصوف والإصلاح السياسي على يد الشيخ أحمد السرهندي ، للدكتور إكرام الحق الأزهري ، موقع أهل الصفا ، د ع ، 2012/05/26 . https://sites.google.com/site/sufi-true تاريخ وساعة الإطلاع : يوم 2017/02/06 على الساعة10:20 صباحا.

[2] المرجع نفسه ، مقال التصوف والإصلاح السياسي.

البلاط ، فاحتالوا عليه حتى سببوا له الإعتقال فبقي في المعتقل عامين ، وإستمال في هذه المدّة مئات من رفقته السجناء من غير المسلمين إلى الإسلام فاعتنقوه "[1] .

ويقول الدكتور سيّد بن حسين العفاّني في كتابه زهر البساتين من مواقف العلماء والربّانيين:

" وجاء في دائرة معارف الأخلاق و الديانات: يحكى عن عالم من علماء المسلمين يسمّى الشيخ أحمد المجدّد –كان في القرن السابع عشر الميلادي في الهند وأعتقل ظُلمًا – أنّه أدخل مئات من غير المسلمين السجناء الذين رافقوه في السجن ، في دين الإسلام "[2] .

الفرع الثاني: الإقامة الجبرية في قلعة كواليار .

كانت الإقامة للشيخ في قلعة كواليار كسجين بسبب لفت بعض أبناء الدنيا ممّن لا يخاف الله ، نظر السلطان إلى أنّ الإمام لم يراعي أدب الدخول عليه ، و لم يأتي بالتحية المعتادة للملوك ، فسأله السلطان عن السبب فقال: إنّني لم أزل متقيّدًا بالآداب والأحكام التي دعى إليها الله ورسوله ﷺ ولا أعرف غير هذه الآداب ، فغضب السلطان و قال: " أسجد لي " ، فقال الإمام: " ما سجدت لغير الله قط ولن أسجد لغيره أبدا " ، فتغيّظ السلطان وزاد غضبه ، وأمر بفرض الإقامة الجبرية عليه في قلعة كواليار . ثم إنّ السلطان – لسبب من الأسباب – ندم على ما فرط منه ، أو رأى هذه المدّة للحبس تكفي لتأديبه ، وأبدى رغبته في اللّقاء فوجّه إليه الدّعوة للحضور في البلاط ، وبقي الإمام السرهندي في قلعة كواليار عاما كاملاً ، فلعلّ الإفراج عنه كان في جمادى الآخرة عام 1029هـ الموافق لـ1620م[3] .

الفرع الثالث : إحياء سنّة سيّدنا يوسف عليه السلام في سجن كواليار .

لقد كانت هذه الإقامة الجبرية في سجن كواليار تنطوي على حكم ومصالح دينية كثيرة ، تسبّب الحُبّ والقبول في الناس ، و تزيده زكاء نفس وسمو روح وإشراق باطن فشمّر هذا السجين كسجين

[1] الدكتور آرنلند ، الدعوة إلى الإسلام ، د د ، د ب ، ط3 ، د س ، ص412.

[2] الدكتور سيد بن حسين العفّاني ، زهر البساتين من مواقف العلماء والربّانيين ، دار العفّاني ، القاهرة ، ج2 ، د ط ، ص74.

[3] مرجع سابق ، مقال التصوف والإصلاح السياسي .

مُصِّر عن ساق الجدّ والإجتهاد في الدعوة والإرشاد في أولئك المسجونين الذين كانوا معه ، ونادى وراء جدران السجن بأعلى صوته: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[1] .

ممّا إهتزّت له أركان القلعة وإرتجّت الجدران ، وسُمع صداه في الخارج ، يذكر بعض المؤرّخين أنّ آلاف من السجناء من غير المسلمين الذين إهتدوا على يديه ، ودخلوا في صحبته وتربيته وإرشاده ، ودعوته في الإسلام ، وأنّ مئات من السجناء المسلمين تابوا على يديه وبايعوه وتمتّعوا بصحبته حتّى بلغوا درجات الإحسان[2].

المطلب الثالث: عصره والأوضاع التي نشأ فيها .

الفرع الأول : مفترق صعب خطير في تاريخ الهند الإسلامي .

لقد وقفت الهند – التي بذلت فيها الجهود المتواصلة ، وكرّست الطاقات البشرية الفاضلة ، والكفاءات العقلية والمواهب الفكرية ، وربّانية الصالحين والصفوة الطيّبين — على طريق رِدّة دينية عقلية وحضارية شاملة ، كانت تساندها أكبر دولة على وجه الأرض في ذلك العصر– بعد الدولة العثمانية – والقوة العسكرية الهائلة ، وكان عدد من أذكياء ذلك العصر ونوابغه يمدّون هذه الدولة بالأسلحة العلمية والعقلية ، فلو كان سير الأحداث والظروف مستمرًا على هذا المنوال ، ولم تقف في وجهها شخصية جبّارة تحوّل إتجاه السير، أو لم يحدث حادث يغيّر الأوضاع ويحوّل البلاد ، لكان مصير هذه الدولة والبلد الإسلامي العظيم في القرن الحادي عشر الهجري ، كمصير الأندلس الإسلامية – الذي لا يعرفه العالم المعاصر إلا بإسم " إسبانيا " – في القرن التاسع الهجري ، أو كمصير" تركستان " في القرن الرابع عشر الهجري (بعد الثورة الشيوعية) ، ولكن أدرك الله العباد والبلاد ، وقيّض للإسلام رجلاً يحفظه من الكفر والشرك والضلال .حيث تحدّث مؤرّخ الإسلام العلاّمة السيّد سليمان الندوي عن " قصة الإسلام وغربته في ديار الهند " يقول: " لقد مضى على هذا السّبات العميق أربعة قرون . وكاد أن يمضي على بداية رحلة الإسلام الغريب في هذه الديار ألف سنة ، كان ذلك عهد الملك أكبر ، إذ نهض ساحر من العجم ونفث في أذن الملك ، أنّ

[1] سورة يوسف ، الآية 39.

[2] مرجع سابق ، رجال الفكر والدعوة ، ص146.

عمر هذا الدّين الممتد على ألف سنة قد إنقرض ، ومسّت الحاجة إلى أن يظهر دين إلهي جديد على يد ملك أمّي ينسخ دين أمّي فأوقد المجوس النيران في معابدهم ودقّت النصارى نواقيسهم في كنائسهم وزيّنت البراهمة أصنامهم ، تمالأ التصّوف واليوك وألحّا على أن يشعلا شمعة واحدة في المعبد الهندكي والكعبة فكم من أصحاب الزُّنّار يحرّكون المسابح ، وكم من أصحاب السبح يعلقون في أعناقهم " الزّنانير" ، وكم من الأمراء يمرّغون وجوههم على عتبة السلطان وكم من أصحاب العمائم يقفون في البلاط ، ويسمع من منابر المساجد نداء: " تعالى شأنه – الله أكبر" كانوا في كل هذا ، وإذا بصوت يعلوا من جهة سرهند: " أن خلّوا الطريق ، فقد جاء صاحب الطريق ، ظهر مجدّد فاروقي في الأبّهة الفاروقية ، كان ذلك أحمد السرهندي"[1].

الفرع الثاني : الوضع الديني والروحي في الهند في القرن العاشر الهجري.

كانت الهند في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين وتحديدا بين عامي 971 وَ1034هـ ، واقعة تحت حكم الإمبراطورية المغولية التي إستمرّت نحو ثلاثة قرون (1526م-1857م) وكان الملك ظهير الدّين بابر المغولي – وهو من سلالة تيمور لنك – مؤسّس هذه الإمبراطورية ، وقد تولّى الحكم في عصر الإمام السرهندي " الملك جلال الدّين محمد أكبر" وإستمرّ في الحكم بِدءًا من عام 963هـ مدّة نصف قرن ، تفيد الوقائع التاريخية بأنّ الدولة الإسلامية في الهند تأسّست في القرن الثامن الهجري على أيدي حكّام من أصول أفغانية أو تركية لذلك كان تأثير الدّين عميقا في نفوس أهل الهند ، ويذكر التاريخ الخاص بالهند عددا من السلاطين قاموا بحماية الشريعة الإسلامية والسنّة النّبوية ومحاربة الكفر والإلحاد ، ووقفوا في وجه البدع والمنكرات وقد شهدت هذه البلاد – خصوصا في القرن العاشر– إزدهارا في التصّوف وإنتشار الطرق الصوفية المتعدّدة التي تركّز على الزهد والعفّة[2].

[1] مرجع سابق ، رجال الفكر والدعوة ، ص110-111.

[2] الدكتور عليان الجالودي ، التحولات الفكرية في العالم الإسلامي ، أعلام وكتب ، وحركات ، وأفكار من القرن العاشر إلى الثاني عشر الهجري ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الأردن ، د ط ، 1435هـ/2014م ، الباب الأول الأعلام ، الفصل السابع لسهيل الفتياني ، ص133.

الفرع الثالث : الوضع العلمي والسياسي في زمانه.

أ/ **الوضع العلمي** : لقد كان القرن العاشر الهجري الذي أبصر فيه الإمام السرهندي(رحمه الله) النّور قرن الجمع والترتيب والتسهيل لكتب المتقدّمين ، وإن كان يتجمّل رأس هذا القرن بوجود أمثال العلاّمة " شمس الدّين السخاوي " (رحمه الله) ، والعلاّمة " حافظ جلال الدّين السيوطي " ، ويتسّم هذا القرن بإزدهار علوم الحديث والرجال في مصر والشام والعراق وبإزدهار العلوم العقلية والفلسفية في إيران وإزدهار الفقه الحنفي في الهند[1].

ب/ الوضع السياسي : لقد كان هذا العهد عهد إنتعاش الإمبراطورية العثمانية وتطوّرها وتزاحف جيوشها المنتصرة في جانب أخر – إلى إيران وكانت العراق كذلك ، مثل الشام ومصر إنظمّت إلى مملكتها الواسعة وكان مجدّد الألف الثاني (رحمه الله) إذ ذاك قد بلغ سِنّ الشعور– وليس ببعيد أن يكون على علم بهذه الأحداث[2].

[1] مجلة الصحوة الإسلامية ، مجلة إسلامية ثقافية شهرية ، تصدر من جامعة دار العلوم زاهدان – إيران ، مقال لعبد الرؤوف الرخشاني ، شخصيات إسلامية ، شوال 1434هـ ، د ع .
https://www.facebook.com/alsahwah.magazine تاريخ وساعة الإطلاع :يوم 2017/02/06 على الساعة 12:09 زوالا.

[2] المرجع نفسه ، مجلة الصحوة الإسلامية .

المبحث الثاني : حياته العلمية.

المطلب الأول : طلبه للعلم ومراحل تكوينه.

الفرع الأول : طلبه للعلم .

بدأ تعلّمه بحفظ القرآن الكريم ولم يمض كثير زمن حتّى حفظه كلّه عن ظهر الغيب ، ثم بدأ يتعلّم مبادئ العلم عند والده ، وبعد مدّة يسيرة برزت مواهبه وصلاحياته وظهرت ميزته في سرعة إدراك المواد الدقيقة ، والتعبير عنها في عبارة واضحة ، مفصحة عن الموضوع ، وأخذ أكثر العلوم المتداولة عن والده وبعضها عن غيره من علماء عصره الكبار، ثمّ سافر إلى سيالكوت – التي كانت آنذك – مركزا علميا ودراسيا كبيرا وقرأ بعض الكتب النهائية العالية المقرّرة في ذلك المنهج الدراس (كالعضدي مثلا) على الشيخ كمال الكشميري الذي كانت له اليد الطولى في المنطق والفلسفة والكلام وأصول الفقه ، وكان صيت ذكائه وقوة حفظه وكثرة قرائته ودراسته وسعة معلوماته وبراعته في التدريس منتشرا في الآفاق وكان من تلامذته أمثال : العلاّمة عبد الحكيم السيالوكوتي من نوابغ العلماء وكبار الفضلاء وحذّاق المدرّسين وقرأ بعض كتب الحديث عن الشيخ الصرفي الكشميري الذي كان تلميذا لمحدّث عصره الشيخ شهاب الدّين أحمد بن حجر الهيثمي المكّي ، وترك في مؤلفاته شرحا مستفيضًا لصحيح البخاري[1].

[1] مرجع سابق ، رجال الفكر والدعوة ، ص121-122.

الفرع الثاني : نشأته العلمية .

بدأت ملامح الرّشد والإصلاح بالظهورعند الإمام السرهندي منذ نعومة أظفاره ، وكان والده أوّل معلّميه ، بدأ رحلته العلمية معه بحفظ القرآن الكريم وبعد الفراغ منه بدأ يتلقى مبادئ العلم عند والده وقرأ بعض العلوم على غيره من علماء الهند وبعد مدّة يسيرة برزت مواهبه وميزته في سرعة الفهم وإضافة إلى إنشغال الإمام السرهندي بعلوم الكتاب والسنّة وغيرهما فقد إعتنى بتزكية نفسه وتغذيتها بالتربية الروحية على أيدي أجلّة شيوخ عصره وعلى رأسهم والده الشيخ عبد الأحد وبعد وفاة والده بمدّة قصد الإمام الحجّ لبيت الله الحرام ، وفي طريقه بدلهي إلتقى الشيخ عبد القادر النقشبندي الدهلوي أحد كبار الطريقة النقشبندية وكان من العلماء العاملين والمشايخ الربّانيين فإتّصل الإمام به وإستكمل في صحبته مسيرته الروحية وحصل على التربية الربّانية التي كان يسعى إليها[1].

المطلب الثاني : شيوخه وتلاميذه.

الفرع الأول : شيوخه.

قرأ على أبيه أوّلا الشيخ عبد الأحد وإستفاد منه كثيرا من العلوم وإستظهر عدّة المتون في أنواع العلوم مع إتقان المنطوق ، ومن كبار مشايخه أيضا المرشد خواجة محمد الباقي بالله ، ثم إرتحل إلى سالكوت وتتلمذ على يد الشيخ المحقّق كمال الدين الكشميري بعض المعقولات بغاية من التحقيق وأخذ الحديث الشريف عن الشيخ يعقوب المحدّث الكشميري وقد أخذ عن كبار المحدّثين بالحرمين الشريفين مثل بن حجر المكّي وعبد الرحمان بن فهد المكّي وحصل على إيجازات في كتب الحديث والتفسير وبعض كتب الأصول وأسند الحديث وتناقل الحديث المسلسل بالرحمة بواسطة واحدة عن الشيخ عبد الرحمان بن فهد من كبراء المحدّثين في زمانه بالهند وتعاطى عنه إجازة كتب التفسير والصحاح الستّة

[1] مرجع سابق ، التحولات الفكرية في العالم الإسلامي ، أعلام وكتب ، وحركات ، وأفكار من القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر الهجري ، ص132.

وسائر مقروءاته وروى الحديث المسلسل بالأولية عن القاضي بهلول البدخشاني عن بن فهد المذكور ولعلّه هو الواسطة في الإجازة بينهما[1].

الفرع الثاني : تلاميذه.

إنّ إستيعاب أسماء خلفاء الإمام السرهندي العظام وإحصاء مآثرهم الجليلة ليس أمرا ميسورا ، فقد بلغ عددهم الآلاف وتفرّقوا في أقطار العالم يحملون هذه الدعوة وينشرون هذه الحركة ، ونذكر بعض من أسماء كبار خلفائه الذين بعثهم الإمام إلى بعض البلدان الخارجية للتربية والدعوة والإرشاد وعيّن بعضهم في المناطق الرئيسية الحسّاسة في الهند بالقيام بهذه الخدمة العظيمة – مرتبا على الحروف الهجائية – وهي كالآتي :1)- الشيخ آدم البنوري 2)- الشيخ أحمد البركي 3)- الشيخ أحمد الدبيني 4)- الشيخ أمان الله اللاّهوري 5)- الشيخ بدر الدين السرهندي 6)- الشيخ بديع الدين السهارنبوري 7)- الشيخ حسن البركي 8)- الشيخ حميد البنغالي 9)- الحاج خضر خان الأفغاني 10)- الشيخ مير صغير أحمد الرومي 11)- الشيخ طاهر البدخشي 12)- الشيخ طاهر اللاّهوري 13)- الشيخ خواجة عبيد الله المعروف بخواجة كلان 14)- الشيخ خواجة عبد الله المعروف بخواجة خورد 15)- الشيخ عبد الحي الحصاري 16)- الشيخ عبد الواحد اللاّهوري 17)- الشيخ عبد الهادي الفاروقي البدايوني 18)- الشيخ فرخ حسين الهروي 19)- الشيخ قاسم علي 20)- الشيخ كريم الدّين بابا حسن الأبدالي 21)- الشيخ السيّد محبّ الله المانكبوري 22)- الشيخ محمد صادق الكابلي .. وغيرهم[2].

المطلب الثالث : ثناء العلماء عليه ، ووفاته.

الفرع الأول : ثناء العلماء عليه.

[1] صفحة رجال المجد الضائع ، صفحة تاريخية علمية بإدارة فريق من المتخصصين (أحفاد رجال المجد). https://menoflostglory.word-press.com.2014/06/24 تاريخ وساعة الإطلاع :يوم2017/02/11 عل الساعة 19:43 دقيقة مساءا.

[2] مرجع سابق ، رجال الفكر و الدعوة ، ص307-308.

1)- قال فيه شيخه الخواجة محمد الباقي بالله هو أول من أثنى عليه وإستفاد منه بسائر المريدين كما بيّن ذلك في مكاتبه ولهذا سميّت الطريقة الخاصة به بالطريقة المجدّدية وكان الشيخ يستفيد من تلك الطريقة الخاصة فقال : " إنّ الوفاء من النجوم أمثالنا تتلاشى وتضمحلّ وأشعة أنوار شمسه ، فلو لم يوجد إلاّ هذه الشهادة من شيخه لكفت دليلا على فضله الشامخ "[1].
وقال أيضا :" إنّ أحمد شمس تأفل في ضوئها آلاف النجوم أمثالي "[2].

2)- قال فيه مولانا عبد الحكيم السيالكوتي :كان يعظّمه تعظيما بليغا ويشنّع على المنكرين بأشدّ التشنيع ويقرّر بأنه مجدّد الألف الثاني وقيل :" أنّه هو أوّل من أطلق عليه هذا الوصف "[3].

3)- قال فيه صاحب سبحة المرجان :" لم يظهر في الهند مثل الفاروقيين :أحدهما في علم الحقائق وهو الشيخ أحمد السرهندي والثاني في علوم الحكمة والأدب وهو مُلاّ محمود "[4].

4)- قال فيه الأستاذ عبد السلام ياسين(رحمه الله) :"كان في الهند ، قبل محمد بن عبد الوهاب وليّ من أكابر الأمّة هو الشيخ الإمام أحمد السرهندي ... والحق أنّ مجدّد الألف الثانية أحمد السرهندي كما يلقّبه علماء الهند ، مربّ أصيل ، شيخ سلك على الطريقة النقشبندية ... الشيخ السرهندي (رحمه الله) قمّة شامخة في سماء الولاية "[5].

---

[1] موقع شمس الشموس ، الإمام الربّاني أحمد السرهندي ، إعداد زاهر عطايا السعدي.
www.alhaqqani.com // :https تاريخ وساعة الإطلاع :يوم 2017/02/11 على الساعة 17:10 مساءا.

[2] مرجع سابق ، رجال الفكر والدعوة ، ص133.

[3] مرجع سابق ، موقع شمس الشموس .

[4] مرجع سابق ، صفحة رجال المجد الضائع .

[5] مقال الأستاذ عبد السلام ياسين بعنوان مجددون في نظر المجدّد : الإمام السرهندي ، مدرسة الإمام المجدّد عبد السلام ياسين ، دع، 2015/01/16. https://yassine.net.ar تاريخ وساعة الإطلاع:يوم2017/02/12 على الساعة21:05 ليلا.

وقال عنه أيضا :"كان لعلماء ما وراء النهر ومشايخها ، خاصة النقشبندية ، إشعاع علمي روحي نجد إنعكاسه في شهادة عالم ربّاني من أكابر صلحاء الهند وصوفيتها ، لقّبوه مجدّد الألف الثانية ولقّبوه الإمام الربّاني لعلوّ مكانته عندهم "[1].

5)- قال فيه الشيخ أبو الحسن الندوي :" ولكن الفضل الأكبر مقاومة إنحراف الدولة وضلالها ومعارضتها بقوة وتنظيم والجهود الموفقة الحكيمة في إصلاحها وتقويمها يرجع إلى الإمام السرهندي الذي قيّضه الله عزّ وجلّ لصيانة الدّين ونصر الإسلام والمسلمين..."[2].

6)- قال فيه الدكتور محمد إقبال : في بيت من شعره يشير إلى الإمام السرهندي (رحمه الله) :" ذلك الحامي لذمار الأمّة الإسلامية في الهند الذي قيّضه الله ﷻ - في الحين المناسب - ونصّبه حارسا للدّين القويم "[3].

الفرع الثاني : وفاته.

توفي الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي سنة1034هـ وذلك في أواخر أيام حكم السلطان "جهانكير" ودفن جثمانه في مدينة سرهند مقاطعة البنجاب بالهند ، ومازال ضريحه مزارا للناس من جميع الطوائف والملل إعترافا بما قدّمه من خدمات للإنسانية جمعاء[4].

المبحث الثالث : آثاره وأهم إنجازاته .

المطلب الأول : آثاره العلمية ومؤلفاته .

[1] عبد السلام ياسين ، الإحسان ، مطبوعات الأفق ، الدار البيضاء ، ط1 ،ج2 ، 1998- 1999م ، ص204.

[2] مرجع سابق ، رجال الفكر والدعوة ، ص303.

[3] مرجع سابق ، مجلة الصحوة الإسلامية .

[4] مرجع سابق ، الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ، ص223.

ترك الإمام السرهندي مجموعة من المؤلفات والكتيّبات والرسائل أكثرها بالفارسية ، بلغ عددها (536 رسالة) ، وأكثرها شهرة ونفعًا مجموعة رسائله التي تسمّى (مكتوبات الإمام الربّاني) وقد ترجمت إلى العربية والتركية وغيرها من اللغات وإحتوت على مجمل أقواله وآرائه ، وتعدّ من أعظم مآثره العلمية والإصلاحية والتجديديّة ، ففيها تصوير لعواطفه ومشاعره وبها تعرف مكانته في التجديد والإصلاح وبلوغه درجة الإجتهاد والإمامة في المعارف الإلهية والعلوم الدقيقة والإنتصار للكتاب والسنّة وقد حظيت هذه الرسائل بالقبول والإنتشار والدراسة والتأمّل ، ومن أشهر هذه الرسائل : إثبات النبوّة – ردّ الروافض وهي رد على بعض الشيعة الإيرانيين – الرسالة التهليلية (بالعربية) – المبدأ والمعاد (بالفارسية) وهي تشتمل على معارف الإمام السرهندي وعلومه وتتكون من 61 فصلا وهي مترجمة إلى العربية[1]– شرح رباعيات وللإمام ولي الله الدّهلوي شرحٌ له بإسم كشف العين في شرح رباعيّتين وكلاهما مطبوع – معارف لدنية (بالفارسية) يشتمل على معارف الإمام السرهندي وتحقيقاته الخاصة في علم السلوك والطريقة ألّفه عام 1015هـ ويبلغ عدد هذه المعارف 41 معرفة – مكاشفات عينيّة (بالفارسية) ... إلى غير ذلك[2].

المطلب الثاني: أهم إنجازاته ومواقفه في مسيرته الدعوية.

قام الشيخ السرهندي بجهود مشكورة متنوعة الأهداف ، فقد أدرك بثاقب فكره وإطلاعه الواسع على مجريات الأمور في داخل الهند وخارجها ، أنّ المسؤولية الأولى لإصلاح المجتمع تقع على العلماء ،كما أنّ تبعات التخلّف الذي يصاب به المسلمون ترجع إلى علماء السوء الذين يتهافتون على منافع الدنيا، ويتكاسلون عن القيام بمهمة محاربة البدع والأباطيل المتفشّية في المسلمين ، فبذل مجهودا جبّارا لإصلاح عقائدهم ونشر التعاليم الإسلامية الصحيحة فيما بينهم بخطبه وكتاباته[3] .

[1] مرجع سابق ، التحولات الفكرية في العالم الإسلامي ، ص132.

[2] مرجع سابق ، رجال الفكر والدعوة ، ص334.

[3] مرجع سابق ، الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ، ص220-221.

و من جهوده المشكورة في سبيل خدمة الأمّة والوطن ، إهتمامه الخاص بإصلاح حال الأمراء والحكّام الذين كانت في أيديهم شؤون الحكم وكان يقول دائما في خطبه ومقالاته ورسائله:" النّاس على دين ملوكهم ، فإذا صلحوا صلحت البلاد والأمّة وإلّا فسدتا " ولهذا كان يوجّه النصائح القيّمة لحكّام البلاد ومسؤولي الدولة ، ونجحت مساعيه في هذا الميدان نجاحا مرموقا.

وجّه الشيخ إهتماما كبيرة في محاربة العقائد الفارغة والبدع والمنكرات التي شاعت في المجتمع حينذاك ، وإنّ كتبه ورسائله لمشحونة بالبحوث في شرح تعاليم الإسلام ، نقيّة من أقوال وأباطيل أصحاب الخرافات ، وردّ الشيخ على أفكار الإلحاد ووحدة الوجود والحلول وغيرها من مزاعم غلاة الصوفية ، إذْ كان من المتمسّكين بأحكام الشريعة الإسلامية وأوامرها ، ومن أنصار التصوّف الإسلامي الخالص الذي ينبع من المبادئ القرآنية والسنّة النبوّية[1].

- ومن أهم إنجازاته ومواقفه في مسيرته الدعوية نذكر منها ما يلي :

أ)– رسائل و مراسلات : وجّه السرهندي خطابه إلى أركان الدولة وكبار الأمراء والوزراء وأستأنف المراسلات التي بدأها قبل إعتقاله ونثر قطع قلبه ، وموزع نفسه على صفحات الرسائل التي تمتاز ببلاغتها ، ونصاعة أسلوبها وروعة تأثيرها ، وكانت هذه الرسائل رسول السرهندي وسفيره في الدعوة، وترجمانه الصحيح لقلبه المكلوم الجريح وهي قطرات دموعه وفلذات أكباده ، وقد كانت لها مساهمة أساسية فعّالة في إحداث ذلك الإنقلاب العظيم الذي ظهر في الدولة المغولية في القرن العاشر بالهند، فمن أمراء الدولة وأركانها وأعيانها الذين وجّه إليهم الإمام رسائله : راسل الإمام السيّد مرتضى المعروف بالشيخ فريد وكان مستشارا خاصا للسلطان ، فحرّضه على أداء مسؤوليته الدينية وما يفرض عليه كونه من أهل بيت النبوّة من واجب إسلامي في نصح السلطان ، وراسل خان أعظم ميرزا عزيز الدّين ، وخان جهان خان اللودهي ، وخان خانان ميرزا عبد الرحيم قائد قوّاد الجيش ، وميرزا داراب، وقليج خان ، وصدر جهان البهانوي ، وبيك جهان كير ... و غيرهم[2].

ب)– مكتوبات : أمّا من المكتوبات التي كتبها الإمام إلى كبار المشايخ فنذكر منها :

[1] مرجع نفسه ، ص221.

[2] مرجع سابق ، زهر البساتين من مواقف العلماء والربّانيين ، ص75.

– **المكتوب الأول** : في بيان الأحوال التي لها مناسبة بالإسم الظاهر وبيان ظهور القسم الخاص من التوحيد وبيان العروجات الواقعة فوق المحدّد وإنكشاف درجات الجنّة وظهور مراتب بعض أهل الله كتبه إلى شيخه المعظّم الشيخ محمد الباقي النقشبندي الأحراري قدّس الله سرّه.

– **المكتوب الثاني** : بيان درجات الولاية لاسيما الولاية المحمّدية على صاحبها الصلاة والسلام ومدح الطريقة النقشبندية العليّة وفضلها على نسب سائر الطرق أرسله إلى الشيخ محمد المكّي بن الحاج موسى القاري اللاّهوري[1] .

– **المكتوب الثالث** : بيان تحرير مذهب الشيخ محيّ الدّين بن العربي قدّس الله سرّه في مسألة وحدة الوجود وماهو مختار حضرة شيخنا سلّمه الله تعالى فيها كتبه إلى الشيخ عبد العزيز الجونفوري .

– **المكتوب الرابع** : بيان أنّ مرتبة ذات الحق تعالى وتقدّس ومرتبة صفاته سبحانه فوق إعتبار الوجود والوجوب كتبه إلى المير شمس الدّين الخلخالي[2]... إلى غير ذلك.

ج)– **الوعظ بالرسائل وماصدر من القلب وصل إلى القلب** : يقول في رسالة :" واويلاه ، وامصيبتاه ، واحزناه ، واحسرتاه ! أتباع محمدﷺ – الذي هو حبيب ربّ العالمين – أذلّة ضعفاء مهانون والجاحدون بنبوّته أعزّة أقوياء مكرمون ، كان المسلمون بقلوبهم الجريحة المكلومة يندبون الإسلام ، ويرثونه وينوحون عليه ، وكان المكابرون الجاحدون يسخرون ويستهزؤون وينكئون جروح المسلمين الدّامية ، غابت شمس الهداية في ظلام الضلال وإختفى نور الحق في حجب الظلام وسحبه الداكنة .

واليوم بعد أن زال ما كان يحول بين الإسلام وتقدّمه وإنتصاره ، وتشنّفت الآذان ، ببشرى تمكّن سلطان الإسلام من عرش الحكومة ورأى أهل الإسلام من الواجب عليهم أن يساعدوا السلطان

[1] الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي ، مكتوبات إمام ربّاني ، وقف الإخلاص ، تركيا ، د ط ، ج1 ، 1423هـ-2002م ، ص9-48.

[2] الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي ، مكتوبات إمام ربّاني ، وقف الإخلاص ، تركيا ، د ط ، ج2 ، 1423هـ-2002م ، ص03-11.

ويناصروه ، ويبصّروه بطريق نشر الشريعة الإسلامية ، وتأييد الملّة الحنيفية ، سواء أكانت هذه المساعدة والمناصرة باليد أو باللّسان"[1].

د)– إثبات نبوّة خاتم الأنبياء والمرسلين محمدﷺ :

يقول العبد المفتقر إلى رحمة الله الولي المعين أحمد بن عبد الأحد السرهندي :" إنّي لمآ رأيت فتور إعتقاد الناس في هذا الزمان في أصل النبوّة ثم في ثبوتها وتحقّقها لشخص معين ثم في العمل بما شرعته النبوةّ وتحقّق شيوع ذلك في الخلق حتّى إنّ بعض متغلّبة زماننا عذّب كثيرا من العلماء بتشيُّدات وتعذيبات لايناسب ذكرها لرسوخهم في متابعة الشرايع وإذعان الرسل وبلغ الأمر إلى أن يهجر التصريح بإسم خاتم الأنبياءعليه السلام في مجلسه ومن كان مسمّى بإسمه الشريف غيّر إسمه إلى إسم غيره ... قلت إذاعلمت معنى النبوّة فأكثر النظر في القرآن والأخبار يحصل لك العلم الضروري بكونه صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم على أعلى درجات النبوّة وبُعد العهد غير قادح في هذا التّصديق لما أنّ جميع أقواله وأفعاله ﷺ مُشعر عن تكميل النفوس البشرية في قوتهم العلمية والعملية بالعقائد الحقّة والأعمال الصالحة وعن معالجة القلوب المريضة وإزالة ظلماتها ولا معنى للنبوّة إلاّ ذلك..."[2].

هـ)– التنظيمات الواسعة للدعوة والتبليغ والتربية والإرشاد وتهافت الطالبين عليه من كل مكان :

بعث الإمام السرهندي عام 1026هـ عددا كبيرا من خلفائه إلى مختلف أرجاء البلاد للتربية والدعوة والإرشاد ، فبعث سبعون شخصا تحت قيادة الشيخ محمد قاسم وإمارته إلى تركستان ، وأربعين شخصا في إمارة الشيخ فرخ حسين إلى بلاد الحجاز واليمن والروم والشام ، وعشرة أشخاص من كبار المسؤولين وأرقى السالكين تحت قيادة الشيخ محمد صادق الكابلي إلى كاشغر وثلاثون خليفة من

[1] مرجع سابق ، زهر البساتين من مواقف العلماء والربّانيين ، ص76.

[2] الإمام الربّاني أحمد الفاروقي السرهندي ، إثبات النبوّة ، وقف الإخلاص ، مكتبة الحقيقة ، تركيا ،د ط ، 1422هـ -2002م، ص03-05.

خلفائه برئاسة الشيخ أحمد البركي إلى توران وبدخشان وخراسان ولقي هؤلاء الخلفاء في المناطق التي وكّلت إليهم نجاحا كبيرا ، وإهتدى على أيديهم خلق كثير ، وعمّت الناس الإفادة والتذكير[1].

- إنّنا وبعد إستقراء سيرة الإمام السرهندي وإستحضار جلّ ماكتب عنه ، نجمل ماتميّز به (رحمه الله تعالى) في ثلاث مزايا :

1/- الصدع بكلمة الحق عند السلطان الجائر.

2/- الجمع بين التربية والجهاد.

3/- نشر المعارف الإيمانية والحقائق الإحسانية.

لا شكّ أنّ إنجازات الإمام السرهندي أكثر من هذا ، وأكبر من أن تحصر في هذا القدر ولكنّي أعتقد أنّ هذه هي التي تميّزه عن غيره من العلماء والمصلحين ، وهي التي تبوّؤه الصّدارة في سلّم المجدّدين ، بل قل هي فيصل التفرقة بين المجدّد وغيره[2].

[1] مرجع سابق ، مقال التصوف والإصلاح السياسي .

[2] مرجع سابق ، مجدّدون في نظر المجدّد.

الفصل الثاني

الجهود الدعوية للشيخ أحمد السرهندي .

- ❖ المبحث الأول : مفهوم الدعوة ومنهج السرهندي فيها .
- ❖ المبحث الثاني : الأساليب والوسائل التي إنتهجها السرهندي في الدعوة إلى الله .
- ❖ المبحث الثالث : الجهود الإصلاحية والتجديدية للسرهندي .

المبحث الأول : مفهوم الدعوة ومنهج السرهندي فيها .

المطلب الأول : تعريف الدعوة لغة وإصطلاحا .

الفرع الأول : تعريف الدعوة لغة .

الدعوة هي مصدر للفعل الثلاثي نقول(دعى ، يدعو ، دعوة)[1]، ولكلمة الدعوة معان عدّة منها: السؤال، النداء ، الطلب .

فالدعوة ما يدعى إليه من إجتماع أوطعام أوشراب والحثّ على إتّباع نِحلة أومذهب أونحو ذلك[2].

الفرع الثاني : تعريف الدعوة إصطلاحا .

لقد عرّف العديد من العلماء الدعوة في الإصطلاح وبين أبرز هذه التعاريف نذكر التالي:

- قال الله تعالى في بيان معنى الدعوة :﴿ **أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾[3] أي يدعو وينادي ويأمر.

والدعوة كما قيل بأنها عمل يدعوا فيه الداعي إلى الله كالتدريس والمحاضرات والمؤتمرات وكل ما من شأنه إعلاء كلمة الإسلام[4] .

- الدعوة هي الإلهام الربّاني[5] .
- وقد عرّفها محمد الغزالي بأنها برنامج يقم في أضوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم ويستكشفوا معالم الطريق الذي يجعلهم راشدين[6].

---

[1] إبن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار الجيل ، د ط ، ج28 ، بيروت ، 1458هـ/1988م ، ص987.

[2] مجمع اللغة العربية ، معجم الوجيز ، د ط ، د س ، ص 232.

[3] سورة البقرة ، الآية 221.

[4] عدنان محمد آل عرعور، منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر ، د س ، ط1 ، د ب ، 1426 هـ/ 2005م ، ص09.

[5] يوسف محمد البقاعي ، قاموس الطلاّب ، دار المعرفة ، د ط ، المغرب ، 2005م ، ص255.

[6] محمد الغزالي ، مع الله ، دراسات في الدعوة والدعاة ، دار النهضة ، ط 6 ، مصر ، 2005م ، ص13.

كما أنها نداء الحق أي الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ليوحّدوه ويعبدوه[1].

- وهناك تعريف شامل للدعوة وهي تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة[2]

المطلب الثاني : منهج السرهندي في الدعوة.

لقد بلغ تاريخ الهند الإسلامية منزلا تتشعّب فيه المناهج وتفترق منه الطرق ويندفق فجر الإصلاح الحقيقي لأول مرة في تاريخ الهند .

ومن سنّة الله أنّه لا يرسل السماء مدرارا إلاّ بعد ما تحمى الأرض وتصير جرداء قاحلة متعطّشة إلى رحمة من ربّها ، وكما أنّ إشتداد الظلام يؤذن دائما بإنبثاق الفجر، وظلم الحوادث الحالكة تكشف عن فرجة ذات أمان وآمال ، كذلك جرت الحوادث ببلاد الهند في منبثق القرن الحادي عشر للهجرة، فبينما بلغ الإضطهاد الدّيني أشدّه وتنكرّت وجوه أعيان المملكة وأمرائها للدّين الحنيف وأهله وضرب المتصرّفون بالشريعة السّمحة عرض الحائط وأمعن العلماء في التكالب على شهوات الدنيا الدنيئة وتنكّبوا واجب القيام بالدعوة و(أفضل الجهاد)*[3]. فأصبح القابض على الدّين كالقابض على الجمر وإحتاجت الأمّة إلى رجل يقف موقف الحسين بن علي (رضي الله عنهما) وأحمد بن حنبل ، يجدّد لهذه الأمّة دينها في هذه القرون المتأخرة ويحيي مآثره ويعيده إلى سيرته الأولى في زمان إتّسع فيه الخرق على الرافع ، فوفّق الله عبدا من عباده صالحا للقيام بالدعوة والجهاد في سبيل الحق ، فنهض للأمر وأعلن بالحق ورتق الفتق وطهّر الدّين المبين من أرجاس الوثنية وخلّصه من خبث الجهل والتصوّف

[1] فهد بن حمود العصيمي ، الدعوة إلى الله (أهميتها ووسائلها) ، دار بن خزيمة ، د ط ، مصدر المادة الكتيبات الإسلامية ، ص03 .

[2] محمد أبو الفتح البيانوني ، مدخل إلى علم الدعوة ، مؤسسة الرسالة ، ط 3 ، د ب ، 1415هـ/1995م ، ص40.

*[3]إشارة إلى ما روي عنﷺ : ((إنّ من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر)) ،(الترمذي ، ج2 ، أبواب الفتن ، ص40).

الباطل ونقّى ثوبه الطاهر من أدران الرفض والإلحاد ودعى الناس بدعاية الإسلام والإستمساك بعروته الوثقى[1] .

وفوق كل ذلك أنّه جدّد السنّة ، سنّة الأئمة الهداة الصالحين المجاهدين في إحتمال الشدائد والثبات عند المحنة ، فبادىء أهل عصره من أمراء الدولة وأعيانها بما كان يراه حقا ، وأنكر على الملك تكبّره في أرض الله بغير حق ، وما زلّت به قدم ألا وذلك الرجل هو الإمام العارف بالله الشيخ أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي [2].

الفرع الأول : منهجه للوصول إلى مرحلة التمكين .

1/- إهتم بتعليم وتربية مجموعات هائلة من أفراد الأمّة وأعدّهم إعدادا تربويا عمليا ، دعويا رفيع المستوى ثم أرسلهم إلى القرى والمدن لدعوة الناس.

2/- إهتم بنقد فكر الفلاسفة المنحرف ، والصوفية الباطلة من أصحاب وحدة الوجود والحلول والإتحاد ، وبيّن الطريق الصحيح لمعرفة الحق ، والوصول اليقيني إلى معرفة الإله الواحد من خلال القرآن ومنهج أهل السنّة والجماعة .

3/- حارب كل أنواع الشرك ومن أقواله في ذلك : " إنّ تعظيم مظاهر الشرك وأعياد الجاهلية من أعظم أنواع الشرك بالله عزّ وجل ، وإنّ من يعتقد بصحة دينين وصلاحيتهما في وقت واحد فهو مشرك ، وإنّ من يعمل بأحكام الإسلام وأعمال الكفر والشرك فهو مشرك ، ولا يتم الإسلام إلاّ بالبراءة من الشرك ومحاداته ومعاداته ، وإنّ التوحيد هو الإشمئزاز والتبرّم من كل شائبة من شوائب الشرك "[3].

4/- إهتم بالدعوة إلى التوحيد الخالص ، وخلود رسالة محمدﷺ ودعم وحدة المسلمين وإعادتهم إلى حضيرة الإسلام ، وكان سببا في حماية المسلمين في بلاد الهند من ردّة محقّقة .

[1] مسعود الندوي ، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، دار العربية ، بيروت ، د ط ، د س ، ص97-98.

[2] مرجع نفسه ، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، ص 98-99.

[3] علي محمد محمد الصلاّبي ، فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم ، د د ، د ب ، د ط ، د س ، ص11.

5/- قاوم المد الشيعي الذي إخترق البلاط الملكي في عهد نورالدّين جهانكير بن الملك أكبر ورفع راية أهل السنّة جهارا نهارا ، بل إستطاع أن يصل إلى معسكر الملك وبلاطه بواسطة تلميذه بديع الدّين السهارنبوري .

6/- إهتم بالأمراء الذين ظهر منهم التدّين وفيهم شهامة وحب للخير ، فهذا الأمير خان جهان وكان الملك جهانكير يحبه حبا جما ، ويعتمد عليه في كثير من شؤون الدولة ، كتب إليه السرهندي يحثه على نصرة دين الله فيقول له : " لوجمعتم بين ما تتبوّؤون من منصب كبير وبين العمل على الشريعة الإسلامية ، لأدّيتم أمانة الأنبياء – عليهم الصلوات والتسليمات – وأوضحتم الدّين المتين وأضأتموه وعمّمتموه ، ولو جاهدنا – نحن الفقراء – أنفسنا أعواما طوالا لما لحقنا بغبار أمثالكم من صقور الإسلام ".

ألا نفوس أبيّات لهم همم أما على الخير أنصار وأعوان

وكانت لرسائله أثرا طيّبا في التأثير على القادة والأمراء وإلتفافهم حول القرآن والسنّة .

7/- إستطاع الإمام السرهندي بعد جهاد مرير، وبلاء عظيم أن يصل إلى الملك نفسه وأصبح من حاشيته ولم يترك جلساء السوء ينفردون به بل عمل على دعوة قوّاد الجيش وحاشية الملك إلى الإسلام الصحيح ، وتأثّروا بالإمام لمّا رأو فيه من حسن الخلق وغزارة العلم وإخلاص للدّين وزهد وورع متين ، وحكمة في الدعوة إلى الله ، ولقد تعاون أولئك القادة مع الإمام السرهندي من أجل التمكين لدين الله وما هي إلاّ فترة وجيزة حتى أزيل دين الملك أكبر ، الذي فرضه على الرعية وأعيد إلى الإسلام مكانته الرفيعة .

لقد تأثّر الملك جهانكير بمبادىء الإمام السرهندي وأقواله ، فإستبدل بالإلحاد الإيمان وأحلّ الإسلام محل الزندقة وجاهر بذلك على رؤوس الملأ من قومه ولقد أظهر الملك شعائر الإسلام ورفع أحكامه وأعزّ أهله وبكى كثيرا على سابق تفريطه .

إنّ الإمام السرهندي مدرسة مهمّة في فقه التمكين وله منهجية رائعة في أساليب الدعوة حقّقت نتائج عظيمة للمسلمين في الهند .

إنّ الإقتراب من رجال الدولة والملوك والأمراء من أجل دعوتهم إلى الإسلام وتمكين دينه قام به العلماء والدعاة من أمثال الإمام السرهندي وحقّقت نتائج طيبة في نصرة دين الله[1].

الفرع الثاني : منهجه في الإصلاح والتجديد.

إتّفق جميع العلماء المتبصّرين والمؤرّخين المصنّفين الذين يطّلعون على التاريخ الإسلامي بصفة عامة عن كثب والتاريخ الإسلامي في الهند بصفة خاصة على أنّ الإمام السرهندي قام بالدور الرائع في الدفاع عن الدّين وتقويته ونصرته الذي غيّر مجرى الأمور وأحدث التاريخ الجديد الذي عرف به الإمام وذاع صيته في الآفاق وإنتشر إنتشارا عظيما حتى غلب عليه لقب " المجدّد " وقع من المصاديق البارزة لحديث الرسول الأعظم ﷺ حيث قال:((إنّ الله عزّ وجلّ يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها))*[2] ، فما هو هذا العمل التجديدي ؟ إنّه تجلية الفكر الإسلامي وإنعاش الروح الدينية ، وكشف اللّثام عن وجه العقائد والنظريات المتلبّسة بالوحدة والإتّحاد ، وعدم الإعتراف بوجود البدعة الحسنة وتثبيت أقدام الإسلام المتزلزلة في الهند وإزالة آثار الكفر ومعالم الضلال التي خلّفها عهد أكبر المظلم ، وبالمحاولة الجّادة الحكيمة الناجحة لثورة دينية تجديدية وتغيير جذري عظيم ، كان من نتائجها حكيم الإسلام ولي الله الدّهلوي (رحمه الله) وخلفائه وتلامذته الذين هم من حلقات هذه السلسلة الذهبية روحيا وفكريا ، وهم الذين بذلوا قصارى جهدهم وخطوا خطوات جبّارة في

[1] مرجع نفسه ، فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم ، ص12.

*[1] حديث صحيح ،أخرجه أبو داوود في السنن 4291 والبيهقي في معرفة السنن والأثار422/28/1 ،صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم 598 وقال: والسند صحيح ، رجاله ثقاة رجال.مسلم.

نشر تعاليم الكتاب والسنّة والدعوة إليهما بفضل هذه الجهود بقيت شجرة الإسلام في الهند قائمة على ساقها ، ناضرة مخضرّة[1] .

كل ذلك يستند إلى مصادر علمية تاريخية ولكن ماهي النقطة المركزية والمحور الأساسي الذي يدور حوله هذا المنهج الإصلاحي والتجديدي ؟ إجابات مختلفة على هذا السؤال الخطير. " وللناس فيما يعشقون مذاهب " ولكن أهمها فيما يلي :

الأول : إنّ الإمام السرهندي (رحمه الله) يستحق أن يوصف بمجدّد الألف الثاني لأنّه إستعاد الهند إلى راية الإسلام وحفظها من الإرتماء في حضن البرهمية ، وفلسفة (وحدة الاديان) ووجّهها إلى لواء محمدﷺ لوصاية الإسلام وحمايته . بل الواقع أنّه حفظ الأمّة الإسلامية الهندية من خطر الردّة العقائدية والفكرية والحضارية الشاملة ، وقد كان هذا الإنقلاب الروحي والمعنوي والردّة الفكرية والحضارية أخطر وأدّق ، وأرسخ جذورا من إنقراض الدولة والإنهيار السياسي الذي وقعت كارثته في أواخر القرن الثامن عشر ، بقيام القوى غير الإسلامية الناهضة في الهند ، ولعلّ الدكتور محمد إقبال (رحمه الله) أشار إلى هذه الحقيقة إذ قال في بيت من شعره يشير إلى الإمام السرهندي : " ذلك الحامي لذمار الأمّة الإسلامية في الهند الذي قيضه الله ﷻ – في الحين المناسب – ونصبه حارسا للدّين القويم"[2].

الثاني : إنّ الإمام فضّل الشريعة في عمله التجديدي ومنهجه الإصلاحي على الطريقة ، وأنّ الطريقة تابعة خاضعة للشريعة في قوة وإيضاح وثقة وبصيرة في ضوء تجاربه الشخصية وأطفأ نار الفتنة التي كانت تدعوا إلى الإستغناء عن الشريعة أحيانا والإنحراف عنها أحيانا أخرى حتى يقال علنا وجهارا : " إنّ الطريقة في واد والشريعة في واد لكل منهما طريقه وتقاليده وأصوله ، أمّا طالب الحق الذي يريد معرفته فيسأل المشايخ عن الدليل الشرعي فيكون جوابه : هذا واد ليس زاد المسافر فيه إلاّ التقليد والإنقياد المطلق للشيخ الحكيم ، ولو أمره بإتيان محرّم ومحظور في الشرع ".

[1] مرجع سابق ، مجلة الصحوة الإسلامية .

[2] مرجع نفسه .

في هذا الجو القاتم أعلن الإمام السرهندي (رحمه الله) في قوة وجراءة أنّ الطريقة من خدم الشريعة خاضعة لأمرها ، وأنّ محاسن الشريعة أعلى وأرفع من المقامات والأحوال والمشاهدات ، وأنّ العمل بحكم شرعي واحد أنفع من مجاهدة آلاف السنين وأنّ القيلولة إتباعا للسنّة أفضل من إحياء الليل من غير إتباع السنّة وأنّه لا إعتداد بأعمال الصوفية في الحل والحرمة ، بل الحاجة إلى دليل من الكتاب والسنّة وكتب الفقه وأنّ رياضات أهل الضلال ومجاهداتهم لا تستوجب القرب بل تستحق البعد والطرد .

الثالث : إنّ منهجه الإصلاحي ومآثره التجديدية الأساسية تكمن في ضربته القاصمة على البدع والعقائد الشركية ، والشعائر الجاهلية المجوسية والفلسفة اليونانية وهو الذي شنّ الحرب على فكرة وحدة الوجود التي كانت لها سحر عجيب على العقول والنفوس ، ونفوذ عميق في العلوم والآداب ، وكوّن معسكرا كبيرا له قيمة وأهمية إزاء معسكر وحدة الوجود ، الذي كاد يكون المعسكر الوحيد في الهند وفي البلاد العجمية فعارض هذا الفكر معارضة شديدة[1] .

المبحث الثاني: الأساليب والوسائل التي إنتهجها السرهندي في الدعوة إلى الله .

المطلب الأول : الأساليب التي إنتهجها في الدعوة إلى الله .

لقد تعدّدت أساليب الدعوة إلى الله والإصلاح في المجتمع الهندي والتي إتّخذها الإمام السرهندي ، وحاول بكل ما أوتي من جهد وقوة أن يستفرغ الوسع لينشر هذه الدعوة بشتّى الأساليب والتي سنذكر منها مايلي :

الفرع الأول : محاربة البدع والعقائد الشركية .

[1] مرجع سابق ، مجلة الصحوة الإسلامية .

وكذا بعض الطقوس التي كانت تمارس في زمانه مثل طقوس المجوسية وغيرها.

كان الإمام الرباني الشيخ أحمد بن عبد الأحد العمري السرهندي شديد الإنكار على البدع والخرافات التي أصبحت تشريعا إزاء تشريع وتفنيدها ، وعدم الإعتراف بوجود " البدعة الحسنة " وتثبيت أقدام الإسلام المتزلزلة في الهند ، وإزالة آثار الكفر ومعالم الضلال التي خلّفها عهد أكبر المظلم ، والمحاولة الجادّة الحكيمة الناجحة لثورة دينية تجديدية ، وتغيير جذري عظيم . إنّه حقّق الفرق بين البدعة والسنّة وأقيسة المجتهدين وإستحسانات المتأخّرين ، والتعارف عن القرون المشهود لها بالخير ، وما أحدثه الناس في القرون المتأخّرة ، وتعارفوه فيما بينهم ، فردّ بذلك مسائل إستحسنها المتأخّرون من فقهاء مذهبه ، ومنها أنه كان يأمر بما يراه معروفا وينهي عن ضدّه ، ولا يخشى في الله لومة لائم ولا يخاف من ذي سطوة في سلطانه ، فكان ينكر على الأمراء ويرشدهم إلى مراشد دينهم ، وينفّرهم من صحبة الروافض ومن شاكلهم من أعداء الدّين ، ويبذل لهم نصحه ، فنفع الله كثيرا منهم بذلك ، وصلحت بصلاحهم الرعية[1] ، ويقول هو نفسه في رسالة وجّهها إلى إبن شيخه محمد عبد الله ، وهو يصوّر هذا الوضع المكفهّر:" لقد كثرت البدع والمحدثات في هذه الأيام كثرة فاحشة ، حتّى ليخيّل للناظر ، أنّ بحرا من الظلمات تتلاطم أمواجه ، وأنّ نور السنّة في هذا البحر الهائج المائج يتلألأ تلألؤ يراعات منتشرة في ظلمة الليل البهيم "[2].

وحارب ما لازم التصّوف من مظاهر الشرك والعادات الجاهلية وتقليد الكفّار في أعيادهم وطقوسهم وعلاوة على ذلك فقد وقف في وجه النذور وذبح القرابين للأولياء والصالحين ، ونهى عن سجدة التحية للملوك والسلاطين [3] .

ولذلك لمّا بدأ الإمام رحلته التجديدية ، كانت أول خطوة خطاها على طريق الأنبياء وعلى نفس المنهج الذي سار عليه الرسل ، هي الخطوة نحو إصلاح العقائد وتصحيح الإتجاه ، فقد كان إباؤه عن سجدة التحية أمام السلطان جهانكير ، ورفضه لهذه البدعة الشنيعة عنوانا لامعا في تاريخ إصلاحه

[1] أبو الحسن علي الحسني الندوي ، أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية ومدارسها الفكرية ومراكزها التعليمية والتربوية في الهند ، المجمّع الإسلامي العلمي ، لكهنؤ (الهند) ، 1416هـ/1995م ، د ط ، ص 8-9.

[2] مرجع سابق ، رجال الفكر والدعوة ، ج 3 ، ص 218- 219.

[3] مرجع سابق ، التحولات الفكرية في العالم الإسلامي ، ص 136.

وتجديده ، وقد تناول في رسائله التي وجّهها إلى مختلف أصحابه وأتباعه بيان حقيقة التوحيد بأسلوب واضح مبين ، وعبارات موجزة جامعة رصينة ، وقدّم الدلائل والبراهين على وحدانية الله تعالى وأنّه هو المستحق للعبادة وحده ، بأسلوب يدل على رسوخه وعلوّ كعبه في هذا العلم ، وقام بدحض الشرك ومظاهره وتقاليده ، ونهى أصحابه وأتباعه نهيا شديدا عن الأعمال الشركية ، والعادات الجاهلية ، وتقليد الكفار من اليهود والنصارى والمشركين ، إذ أنه لا بداية لعمل الإصلاح والتجديد إلاّ به فضلا عن نهايته وكماله .

وهنا مقتطفات من رسالة مسهبة كتبها إلى إمرأة صالحة بايعته وتابت على يده ، وقد تضمّنت هذه الرسالة الرد على عامة ما يبتلى به الجهلاء من المشركين خصوصا النساء منهم ، يقول فيها :" إنّ تعظيم مظاهر الشرك ، وأعياد الجاهلية من أعظم أنواع الإشراك بالله ﷻ وأنّ من يعتقد بصحة دينين وصلاحيتهما في وقت واحد فهو مشرك ، وأنّ من يعمل بأحكام الإسلام وأعمال الكفر والشرك فهو مشرك ، ولايتم الإسلام إلاّ بالبراءة من الشرك ، ومحادّته ومعاداته ، وأنّ التوحيد هو الإشمئزاز والنفور من كل شائبة من شوائب الشرك "[1].

ويقول (رحمه الله) في الإستعانة بغير الله :" إنّ الإستعانة بالطواغيت والأصنام في دفع الأمراض وشفاء الأسقام – التي راجت في المسلمين وعمّت في دهمائهم – عين الشرك والضلال وأنّ طلب قضاء الحاجات من الأحجار المنحوتة جحود صريح بالله تعالى وعين الكفر...وإنّ كثيرا من النساء – لغاية جهلهنّ وضلالهنّ – يطلبن قضاء حوائجهنّ من غير الله ، ويسألن بأسماء ما أنزل بها من سلطان ، دفع البليّات وكشف الكربات ، إنهنّ لأسيرات في أغلال الشرك وطقوسه وتقاليده "[2].

الفرع الثاني : الدعوة الفردية .

نشط الشيخ السرهندي في التأثير في بلاط الملك ورجال دولته وجيشه وراسلهم وراسلوه وبايعه منهم كثير وأحبّه أكثر، وتأكّدت الصداقة بينهم ، فكان الشيخ يكتب إليهم رسائل رقيقة مرقّقة تأخذ بمجامع القلوب وتهزّ النّفوس ، وهي من أبلغ الرسائل وأعظمها تأثيرا في القلوب ، يصوّر لهم غرابة

[1] مرجع سابق ، رجال الفكر والدعوة ، ج3 ، ص225-226.

[2] مرجع سابق ، رجال الفكر والدعوة ، ج 3 ، ص226.

الإسلام في بلاده فيبكي ويبكي ، يقول في رسالة :" واحزناه ، واحسرتاه ، وامصيبتاه ، إنّ أتباع محمدﷺ – وهو محبوب ربّ العالمين – غرباء مهانون في بلادهم وأعداؤه مكرمون ، إنّ الباطل بارز منصور ، وإنّ الحق مخذول مستور".

ويقول في رسالة أخرى :" لقد أتى على الإنسان والمسلمين حين من الدهر في هذه الديار– يعني بعد عهد الملك أكبر– إذا عمل مسلم بحكم شرعي يسجن ويعاقب ويهان ويعذّب ، والديانات كلها حرّة متمتّعة بكل حق ، لقد شمت بالمسلمين الأعداء وسخروا منهم ، وأصبحوا هدفا لكل تجريح وإهانة "[1]، وكان يستثير همم رجال الدولة المسلمين ويستنهضهم لخدمة الإسلام وإقالته من عثاره ، فيكتب إلى خان خانان – وهو قائد قوّاد الجيش والركن الأعظم للدولة – " إنّ ميدان البطولة الإسلامية لا يزال خاليا ينتظر فارسا من فرسان الإسلام ، فهل تسبق إلى هذه السعادة وتحرز قصب السبق وتنصر هذا الدّين المظلوم ، وتغضب لهذا الحق المهضوم ، وتبلغ بجهادك إلى حيث لا يبلغه المتعبّدون الصائمون ، فحيّهلا يا أهل الغيرة والفتوة ويا أهل الشهامة والمروءة "[2].

وهكذا يكتب إلى خان أعظم أكبر الأمراء في عهد جهانكير والسيد فريد أحد الوزراء والمستشارين في الدولة ، وقد نفذ بروحانيته في قلوبهم وسيطر على عقولهم ، حتّى كان يملي عليهم الأحكام كما يملي ملك البلاد ، فيمتثلون أمره وينفّذون رغباته ، ويوجّه الدولة وهو قاعد في زاويته بسرهند توجيها دينيا بواسطة تلاميذه الروحيين وخدمه المخلصين الذين يديرون دفّة الحكومة[3].

يقول الإمام السرهندي في رسالة بعث بها إلى الأمير السيد فريد البخاري – المذكور– فور جلوس السلطان جهانكير على عرش المملكة ، يدعو له بإستقامته على جادة آبائه الميامين وبخاصة جدّه سيد المرسلين ﷺ ثم يقول :" إنّ السلطان في الدنيا ، كالقلب في البدن ، فإذا صلح القلب صلح

[1] الشيخ أبو الحسن الندوي ، الدعوة والدعاة مسؤولية وتاريخ ، د د ، د ب ، د ط ، ذو القعدة 1408هـ/يوليو1988م ، ص33 – 34.

[2] مرجع نفسه ، ص34.

[3] مرجع نفسه ، الدعوة والدعاة مسؤولية وتاريخ ، ص34.

الجسد ، وإذا فسد القلب فسد الجسد ، وإنّ صلاح السلطان صلاح الدنيا ، وفساد السلطان فساد الدنيا "[1] .

كما كان للإقامة الجبرية التي فرضها السلطان جهانكير على الإمام السرهندي في سجن كواليار الأثر البليغ في نشر دعوته داخل أسوار السجن ، فكانت هذه الإقامة تنطوي على حكم ومصالح دينية كثيرة تسبب له الحب والقبول في الناس وتزيده زكاء نفس وسمو روح وإشراق باطن ، فشمّر هذا السجين كسجين مصرّ عن ساق الجدّ والإجتهاد في الدعوة ، والإرشاد في أولئك المسجونين الذين كانوا معه يذكر بعض المؤرّخين : أنّ آلافا من السجناء من غير المسلمين إهتدوا على يديه ، ودخلوا بصحبته وتربيته وإرشاده ودعوته في الإسلام ، وأنّ مئات من السجناء والمسلمين تابوا على يديه وبايعوه ، وتمتّعوا بصحبته حتى بلغوا درجات الإحسان[2].

فما كانت جدران السجن لتمنعه من الدعوة إلى الحق والعمل لإعلاء كلمة الدّين فتجدّدت سنّة بن يعقوب (عليهما السلام) هناك ، وجعل يدعوا من في السجن من عباد الله إلى الحق ويرشدهم إلى طاعة الله ورسوله ، حتّى وجدت دعوته آذانا صاغية وقلوبا داعية وتبدّلت الأرض – أرض السجن – غير الأرض وشاهد رجال السجن والعجب ملأ قلوبهم أنّ خدم السجن ومن فيه من أخلاط الناس وأوباشهم ، جعلوا يتوبون إلى الله مولاهم الحق ويتّبعون السيّد المجدّد فيما يأمرهم به من طاعة الله ورسوله ، فكتبوا إلى الملك يخبرونه بأنّ المحبوس عندهم قد أحدث في داخل السجن إنقلابا مدهشا ، وأنّ (الوحوش الضارية) من قطّاع الطرق والمفسدين في الأرض قد إنقلبوا بدعوته رجالا بررة ، فما أجدر هذا الرجل الورع المصلح بأن يطلق صراحه ويبوأ المحل الأسمى الذي يستحقه[3].

الفرع الثالث : البعد عن السياسة.

[1] مرجع سابق ، رجال الفكر والدعوة ، ج 3 ، ص277.

[2] الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي ، من أعلام المسلمين ومشاهيرهم ، دار إبن كثير ، دمشق ، بيروت ، ط 1 ، 1423هـ/2002م ، ص 79- 80.

[3] مرجع سابق ، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، ص 102.

كان الإمام السرهندي ينعزل عن مركز الحكم وعن السياسة ، يجلس بعيدا ،ولكنه لم يزل متصلا برجال البلاط والأمراء ، يكتب إليهم الرسائل البليغة التي تسيل عذوبة وتشتعل نارا في وقت واحد إنّه لم يزل يثير غيرتهم الإيمانية ، ويلهب فيهم جمرة الإيمان التي كانت مدفونة تحت الرماد فيزيل عنها التراب ، فيقول للواحد منهم :" أنت مسلم والحياة عارضة ، والملك لا يعيش دائما ، وهذا الحكم لا يدوم ، إتّق الله في نفسك ، إتّق الله في أمّتك ، إتّق الله في بلادك " هذا كان دأبه على مرّ الأيام حتى إستطاع أن يجرّ إليه عددا كبيرا من الأمراء والوزراء ، وكانت سياسة البلاد تمرّ بمرحلة دقيقة جدا ، لأنه إذا ثار ضدّ هذا الملك الجبّار ، الملك الذي إرتدّ عن الإسلام – كما ذكرنا سابقا – فإنّ معنى ذلك أنّ هذه البلاد ستذهب إلى الهنادك ، فيستولون عليها لأنهم بالمرصاد ، فلم يوافق على أن يعارض الحكومة بالسّيف ، لأنّ هذه الحكومة إذا ضعفت فمعنى ذلك أنّ الهنادكة يستولون عليها وأنّهم سيخلفون المسلمين ، فكان من الإحتياط ومن الحكمة وكان من السياسة ألاّ تضعف شوكة المسلمين المادية والعسكرية ، فاقتصر على الدعوة وإقتصر على الرفق وعلى الحكمة[1]. ولعلّ الإمام السرهندي – بعد خروجه من معتقل كواليار ومرافقة العسكر الإجبارية أربع أو خمس سنين – أشار على الوزير الشهير في بلاط السلطان جهانكير الأمير مهابت خان عندما قام بالثورة عام 1035هـ على الدولة أن يكفّ عنها ولا يثير الإضطراب ، فكان دليلا واضحا على فراسته الإيمانية والتوفيق الربّاني الذي كان حليفه ، إنّه ما إختار– لإحداث تغيير جذري في الأوضاع – هذا الطريق المشبوه المحفوف بالأخطار، بل سلك طريق البناء بدل الهدم والإيجاب بدل السلب والإمالة بدل الإزالة ، الطريق الذي كان بمأمن من كل خطر وضرر[2].

الفرع الرابع :تجديد الإيمان في القلوب.

قام الإمام السرهندي بالدور الرائع في الدفاع عن الدين الإسلامي ، وتقويته ونصرته ، الذي صنع تاريخا جديدا ، وبدأ عهدا جديدا ، والذي يسمّى في مصطلح الحديث المعروف البسيط " التجديد " الذي عرف به الإمام وإشتهر إشتهارا عظيما حتى غلب عليه لقب " المجدّد " وظلّ ينوب عن إسمه ، وقد تجلّى ذلك العمل الإصلاحي العظيم في إعادة الثقة والإيمان إلى قلوب أبناء الأمّة

[1] مرجع سابق ، من أعلام المسلمين ومشاهيرهم ، ص 78 – 79.

[2] مرجع سابق ، الإمام السرهندي حياته وأعماله ، ص 275.

الإسلامية ، بخلود الرسالة المحمدّية وحاجة الناس إليها وترسيخ جذور هذه العقيدة المهمّة ، فقد كانت هذه الخطوة التجدّيدية سدًّا منيعا في وجه تلك الفتن التي كانت تموج في العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، وتقف فاغرة أفواهها لتبتلع شجرة الإسلام الطيبة ونظامه العقائدي والفكري والروحي بأسره[1]. ونذكر في هذا الشأن العمل العظيم الذي قام به الإمام بتجديد الإيمان في قلب السلطان جهانكير وتحبيب الإسلام إليه ، بعدما خرج الشيخ من السجن بأمر من السلطان فاستقبله بالترحاب والإعتذار... فكان يوم هاته المقابلة في ليلة رمضان المبارك ، وأبى الملك إلاّ أن يضيف الشيخ عنده في هذا الشهر الكريم ، ورجاه أن يسمعه ما يدور في خاطره وأن يحدّثه عن ما يريد وأن يخبره بحقيقة دعوته ، فاستجاب الشيخ مستبشرا بذلك ، قضى الشيخ شهر رمضان في ضيافة الملك وفي بلاطه ، محدّثا إياه عن الإسلام وعدله ، شارحا له واقع الخلفاء والصالحين الذين تولوا حكم المسلمين ، وقد وهبه الله صدقا في اللهجة وحسنا في التعبير وسلامة في العرض ، والملك ينصت له فبدأ بالصلاة خلفه ، وأقام صلاة التراويح وأخذت أصداء آيات القرآن الكريم تجلجل في رحاب القصر ، وعاش الملك في جو روحي عبق حتّى إستطاع الشيخ بفضل الله وتوفيقه أن يغيّر قلب الملك وفكره ، فأحبّ الإسلام وإعتقد به ، وأعلن ذلك للأمّة بمرسوم أصدره يحمل الأوامر التالية :

1-تحريم السجود للملك .

2-الإذن بذبح البقر .

3-تعيين القضاة ورجال الحسبة في كل بلد .

4-إعادة بناء المساجد المهدّمة .

5-إبطال القوانين المعارضة للشريعة الإسلامية .

وهكذا أخذ الولد الصالح المؤمن ينقض ما أبرمه الوالد الكافر الفاسد ، حسب قول الشيخ وأمره ، ولقد صدق من قال :

إنّ الملوك لتحكم على الورى وعلى الملوك لتحكم العلماء[2]

[1] مرجع سابق ، الإمام السرهندي حياته وأعماله ، ص 165 – 169.

[2] عبد العزيز البدري ، الإسلام بين العلماء والحكّام ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، د ط ، د س ، ص 213- 214.

ولكن لا يمكننا أن نجحد ما تركت هذه المرافقة من الأثر العميق في نفس الملك جهانكير ، والفوائد التي إقتبسها منها ، فقد كان لمرافقته دخل كبير في نشأة النزعة الدينية الجديدة فيه ، وعنايته بتعمير المساجد المنهدمة من جديد ، وشغفه بإقامة المدارس الدينية في المناطق المفتوحة ، وما ظهر منه عام 1031هـ بمناسبة فتح قلعة " كانكره " من عواطف إسلامية ، وإظهار شعائر الإسلام فيها يدل على حدوث التحوّل ، والتقدّم في التديّن الذي يمكن معه القول بأنّه كان غيضا من فيض مرافقة الإمام السرهندي وصحبته[1].

المطلب الثاني : الوسائل التي إتبعها في دعوته إلى الله .

يتوقف نجاح أيّة دعوة على الدعاة القائمين بها وصفاتهم والوسائل التي يتخذونها في سبيل نشرها فمن الوسائل الرئيسية التي إتبعها الدعاة المسلمون في الهند في سبيل نشر الدعوة الإسلامية في جميع العصور وفي جميع المراحل ما يلي :

أولا : القدوة الشخصية : إتّخذ الدعاة القدوة الحسنة الشخصية كوسيلة رئيسية في آداء رسالتهم نحو نشر التعاليم القرآنية والإرشادات النبوية من أفراد الأمّة الهندية وجماعاتها ، وتمسّكوا بهذه الوسيلة إعتقادا راسخا منهم بأنّ إسداء النصح والأوامر بدون أن يكونوا هم القدوة الأولى ، لا يؤثّر في القلوب ولا يؤدي إلى الهدف المطلوب وهذه هي إحدى الميزات الكبرى التي إمتاز بها الدعاة المسلمون في شبه القارة الهندية وكانوا دائما مظهرا حيا لما يدعون إليه من الخُلق القويم والأعمال الصالحة حتى يتأثّر بها المدعوون بالقدوة الشخصية والسلوك الشخصي[2] .

ثانيا : الموعظة الحسنة : وهي كما صرّح به صاحب " فتح البيان " ، الكلام الليّن المشتمل على العظات التي يستحسنها السامع ويندفع إلى الإستماع إليها وتقبلها وكانوا يتمسّكون في ذلك بإرشاد قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ**

[1] مرجع سابق ، الإمام السرهندي حياته وأعماله ، ص 151 .

[2] مرجع سابق ، الدعوة الإسلامية ، وتطورها في شبه القارة الهندية ، ص343-344 .

وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[1] ، فانجذب سكان البلاد إلى حظيرة الإسلام مقتنعين بصدق الدعوة وصدق الدعاة ومتأثّرين بدين العدل والمساواة ، فقد وجدوا في هؤلاء الدعاة أخلاقا عالية بعيدة عن شوائب المآرب الشخصية أو المطالب الذاتية.

ثالثا : إبتعادهم عن المآرب السياسية: وكان الدعاة المسلمون الحقيقيون في الهند ، في بعد تام عن ساحة الملوك وأصحاب السلطان كما كانوا يتبعون حياة الزهد والقناعة ولقّنوا مبادئ الدّين الحق للناس وعلّموهم آداب الإسلام لقوله تعالى:﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾[2] ، وقد أدركوا جيّدا أنّ الإهتمام بالسياسة والإختلاط بأصحابها يلهيهم عن مهمّة الدعوة الخالصة ويجذبهم إلى الحزازات الطائفية والإختلافات الداخلية فكرّسوا جهودهم وأوقاتهم وطاقاتهم في أمر الدعوة ، ولذا إرتفعت مكانتهم في قلوب الشعب ، وأصبحوا بعيدين عن نطاق التهم والشكوك[3].

رابعا : الصوفيون فاتحوا القلوب لا فاتحوا البلاد : للصوفيون والزهّاد فضل كبير في نشر الدعوة الإسلامية في شتّى أنحاء البلاد الهندية في عصور مختلفة ، ومنهم من هاجروا أوطانهم إلى البلدان الأخرى مثل تركستان وبخارى وبعض البلاد العربية ودخلوا الهند وأقاموا فيها دعاة مرشدين ، ومنهم الهنود الذين تربّوا على أيدي هؤلاء الشيوخ ، فكانوا يجلسون على الحصير في زواياهم المنعزلة عن العمران وضواحي المدينة ، أو في بيوت الله يلقّنون أولا مبادئ الحب والأخوّة والتسامح والمساواة ، ويحثّونهم على فعل الخير وإجتناب المنكرات ويربّونهم بإخلاص وبأسلوب مؤثّر حيث تنفذ كلماتهم إلى أعماق النفوس وتأخذ بمجامع القلوب[4] .

[1] سورة فصلت ، الآية 34 .

[2] سورة العصر ، الآية 03 .

[3] مرجع سابق ، الدعوة الإسلامية وتطورها ، في شبه القارة الهندية ، ص 344.

[4] مرجع نفسه ، ص344 – 345.

خامسا : جهودهم الفردية : فكان الدعاة المسلمون يقومون بإرشاد الناس إلى طريق الحق وتلقينهم مبادئه بالإتصال الشخصي ، حيث يخالطون الجماهير ويعاشرونهم ويجالسونهم ، فيتأثّر سكان البلاد بأخلاقهم الزّكية وآدابهم العالية فاختاروا سبيل هؤلاء الدعاة المرشدين عن إنشراح صدر وطيب نفس ، وأنّ إبتعاد هؤلاء المرشدين عن ساحات الملوك والحكّام وأصحاب السلطان قد أكّد للشعب إخلاصهم في دعوتهم وبراءتهم عن أي مأرب سياسي أو مادي .

سادسا : مخاطبتهم الناس بلغتهم وبقدر عقولهم : فكان هؤلاء الدعاة ينتمون إلى قسمين ، قسم هاجروا إلى الهند وإتّخذوها مقرا لهم للدعوة إلى الله ونشر مبادئهم الروحية ، وقبل أن يبدأوا مهمّتهم تعلّموا لغات القوم ودرسوا ظروفهم البيئية ، وإتجاهاتهم النّفسية وإنحرافاتهم الخُلقية ، لكي يخاطبوهم بلسانهم وتصل دعوتهم إلى قلوب المخاطبين ومشاعرهم ، حتّى تعالج الإنحرافات التي وقعوا فيها سواء أكانت خُلقية أو إجتماعية أو دينية ، والقسم الثاني هم الدّعاة الهنود الذين تشبّعوا بدعوة الإسلام وأحسنوا لغة البلاد ودرسوا طبيعة قومها وبيئتها[1].

وقد إتّبع الشيخ وسائل عدّة لتحقيق الإصلاح الدّيني والعقائدي ، وتخليص الهند ممّا عانته من فوضى دينية وفكرية ، فمن وسائله :

الفرع الأول : المكاتبة والمراسلة .

وقد إتّبع هذه الوسيلة للإتصال بأعيان البلاد ورجال العلم وأصحاب الزوايا وأولي الأمر، وأهم ما تركه الإمام السرهندي من مؤلفاته هو مجموعة رسائله ومكاتباته وهي تعبير صادق عن مشاعره وميوله وناطق أمين عن معارفه وعلومه ، وبرهان ساطع على تغلغله في العلوم الفلسفية الدقيقة والمعارف الروحية والسلوكية ، وقد قدّر الله تعالى لهذه الرسائل قبولا عاما في أوساط رجال الدّعوة والإصلاح فغدت منهلا علميا فيّاضا ومصدر إشعاع روحي للمصلحين والمسترشدين ، وقد وظّف الإمام هذه الرسائل في دعوته الإصلاحية ، فكان منها ما هو موجّه إلى الأمراء ورجال البلاط الملكي بهدف التأثير فيهم ، وإثارة العاطفة الدينية في نفوسهم ومنها ما هو موجّه إلى تلاميذه ومسترشديه وآخرين غيرهم ، وقد ركّز في رسائله على أهمية دور العلماء وخطورة مهمّتهم وحذّر من جانب آخر من

[1] مرجع نفسه ، ص 345- 346 .

علماء السوء وخطرهم على الإسلام والمسلمين فيقول متحدثا عنهم :" إنّ صحبتهم سمٌّ قاتل ، وإنّ فسادهم يكون عاما ومتعدّيا ، وفي عصر الملك أكبر هم كانوا وراء الفساد أضلّوا الحكّام وألقوا الإسلام في محنة"[1].

وأكّد أهمية الحاكم المسلم ودوره في صلاح الأمّة ويقول في هذا الشأن عن السلطان :" إنّه بمنزلة القلب من الجسد ، إذا صلح القلب صلح الجسد كلّه ،كذلك إذا صلح السلطان عمّ الخير في العالم ، وإذا فسد إنتشر الفساد في المجتمع كله ". لقد إستخدم الإمام السرهندي قلمه البليغ لإقناع العقول وتغيير القلوب بدل إشهار السيوف لإزاحة الهامات وقطع الرؤوس.

الفرع الثاني : إرسال بعثات ووفود من الدّعاة والمصلحين إلى أنحاء الهند كافة وخارجها .

وقد كانت هذه الوفود والبعثات على شكل جماعات منظمة ، لها أمراء يشرفون عليها ويديرون شؤونها فقد أرسل وفودا إلى تركمانستان والحجاز واليمن والشام ، بالإضافة إلى توران وبدخشان وخراسان ، ونتيجة لهذه البعثات فقد أمّه كثير من الناس أفرادا وجماعات من شتّى مناطق الهند ومن خارجها ، فاستمعوا لدعوته وتأثّروا بها[2].

الفرع الثالث : وسيلة التدريس والتصنيف .

لمـاّ فـرغ السـرهندي مـن تحصـيل مـا تيسّـر لـه مـن العلـوم الظـاهرة وكـان إذ ذاك بن سبعة عشرة سنة ، إشتغل بالتدريس والتصنيف ، وممّا صنّفه في تلك الأيام رسالة في إثبات النبوّة وأخرى في الرّد على الشيعة الإمامية وغير ذلك ممّا أثنى عليه العلماء ، وألبسه أبوه خرقة الخلافة.

ولمّا رجع إلى سرهند جلس على مسند الإرشاد وأخذ في الدرس والإفادة ، وكان يدرّس في علوم شتّى من الفقه والأصول والكلام والتفسير والحديث والتصوّف وربما يشتغل بالهداية و البزدوي ، وشرح المواقف و" البيضاوي " و" المشكاة " و" البخاري " و" العوارف " ، وله مكتوبات في ثلاثة مجلدات وهي الحجج القواطع على تبحره في العلوم الشرعية وفيها ما لا يتبادر إلى الأذهان لمن ليس لهم درك

[1] مرجع سابق ، التحولات الفكرية في العالم الإسلامي ، ص 134 .

[2] مرجع نفسه ، ص 135 .

في مقامات العرفان ، وله غير ذلك من المصنّفات الرشيقة الممتعة ، وفي كل ذلك كشف القناع عن وجوه الحقائق والمعارف ممّا لم يتيسّر لأحد قبله[1].

- وفي الهند كانت عوامل القوة والنهضة متمثلة في التجربة التكاملية بين الدعوة والدولة والتي كان بطلها الشيخ أحمد السرهندي الذي كافح تيار الإلحاد بوسائل سلمية وبتدشين تجربة تكاملية جمعت الدعوة والدولة معا لنصرة قضايا الأمّة والمجتمع مع السلطان نورالدين جهانكير فقد لخّص الشيخ السرهندي عوامل نجاح رجل الدعوة في عاملين أساسيين " أحدهما : تملّك الفكرة وسيطرتها على نفسه والثاني: التجرّد عن المطامع الدنيوية والزهد في المناصب والملك"[2].

المبحث الثالث : الجهود الإصلاحية والتجديدية للسرهندي.

تتضح لنا مما سبق الحالة الدينية والفكرية المتردّية التي كانت تهيمن على المجتمع الهندي ، وما رافقها من شيوع الإضطراب العقائدي والفكري ، أمام هذه المحنة كانت الهند بإنتظار شخصية إصلاحية للوقوف في وجه هذا التيار الإلحادي ، الذي كان يعصف بالوجود الإسلامي في القارة الهندية ، وهذه الشخصية المنتظرة تمثلت في الإمام السرهندي الذي أدّى الدّور المنوط به على أكمل وجه ، فأكتمل بنجاحه الباهر إصلاح مواطن الخلل في النفوس والعقول والكشف عن الصورة الحقيقية للإيمان وممّا يميّز شخصية الإمام السرهندي – مع وجود عدد غفير من العلماء والمربّين في عهده – غيرته الشديدة على أحوال المسلمين ، وهذا ما جعله يستحق لقب "مجدّد الألف الثاني" عن جدارة. وقد إمتازت دعوته بالشمول والتنوع فشملت قطاعات المجتمع المختلفة : العوام ، والعلماء ، والأعيان ، والوزراء، والحكّام ، وسائر الفئات المختلفة[3].

[1] عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ، دار بن حزم ، بيروت ، ط1 ، 1420هـ/1999م ص 480 .

[2] هشام النجّار ،سوريا والتحولات الكبرى: مشكلات الوطن .. ومستقبل العرب ، دار سما للنشر والتوزيع ، د ب ، د ط ، د س ص 375 .

[3] مرجع سابق ، التحولات الفكرية في العالم الإسلامي ، ص 133

ثمّت إجماع لدى دارسي التاريخ الإسلامي على الدور المهم الذي قام به الإمام السرهندي في الدفاع عن الإسلام ونصرته ، وفي تجلية الفكر الإسلامي على وجهه الصحيح وفي إنعاش الروح الدينية في الهند وإتّفقوا على أهمية جهوده الجبّارة في الوقوف أمام الدعوات الضّالة القائمة على الرياضات والمجاهدات ، وفي مقاومة التجارب الباطنية والروحية المعتمدة على وسائل خاصة بعيدة عن الشريعة.

قام السرهندي بحركة إصلاحية شاملة ، وثورة دينية إمتدّت خارج حدود شبه القارة الهندية وشعّت بنورها على ما يحيط بالهند من أصقاع يوجد المسلمون فيها ، وكان من ثمار دعوته بروز كثير من العلماء مِمّن تأثّروا بهذه الحركة الإصلاحية ونشروها بين تلاميذهم ومريديهم ، فحملوا تعاليمه وتبنّوها ونشروها وتجلّت إسهاماتهم في جوانب شتّى : نشر العلم وإنشاء المدارس والتربية الروحية ، وإصلاح العقائد والرّد على البدع ، ونتيجة لجهادهم المتواصل حوّلوا الهند إلى أحد مراكز الثقل في العالم الإسلامي على مستوى العلوم الدينية والفكر والدعوة [1].

لقد إنطلقت حركة السرهندي الإصلاحية من معاينته للواقع الهندي ، وما يشوبه من إضطرابات وإنحرافات خطيرة ويمكن أن نلخص التحدّيات التي كانت تواجه المسلمين في عصر السرهندي في ما يلي :

1/- إرتداد الملك المغولي جلال الدّين أكبر عن الإسلام ومحاولته القضاء عليه ، وتسخير علماء السوء وأجهزة الدولة المختلفة لهذا الغرض وتحويل الهند من بلد إسلامي إلى بلد تكون فيه الهيمنة للهندوس وأهل الديانات الأخرى ، لتحقيق الإستقرار السياسي .

2/- إنتشار البدع والخرافات ، وشيوع التصوف المنحرف وإنشغال الكثير من أهل الزوايا في ترويج فكرة وحدة الوجود وعقيدة الحلول والإتحاد ، وإدعاء سقوط التكاليف الشرعية ، فقد شاع بين أوساط المتصفين أنّه إذا إرتفع الحجاب بإختلاط الكفر بالإيمان والإيمان بالكفر ، إرتفعت العبادة والعبودية .

3/- سيطرة الفلسفة اليونانية على العقول وإنحراف الناس بسببها ، وترديد العلماء ورجال الدّين للمقولات الفلسفية وإنشغالهم بالمناقشات والمناظرات فيها .

[1] مرجع سابق ، التحولات الفكرية في العالم الإسلامي ، ص134.

4/- كثرة ضعاف النفوس وعلماء السوء من أهل المطامع الدنيوية .

وقد رأى الإمام السرهندي في حالة المسلمين هذه خطورة على الدّين ، لم تكن معالجتها بالأمر الهيّن ، ولهذا إتّصف موقفه بالحكمة والتأني ، فلم يقف في البداية موقف المعارضة مع تألمه الشديد للحال الذي وصل إليه الإسلام[1].

المطلب الأول : جهوده في التصوف و السلوك .

الفرع الأول : جهوده في إصلاح التصوف .

من الأمور التي تصدّى لها الإمام السرهندي قيامه بردّ البدع وتنقية الإسلام من الشوائب التي علقت به ، بسبب إنتشار التصوّف المنحرف بين عامة الناس ووقوع كثير منهم في الشرك والإعتقاد ببعض العقائد المنحرفة ، مثل الحلول والإتحاد ووحدة الوجود ، وما تضمّن ذلك من الخروج على التكاليف الشرعية في العبادات والمعاملات بحجّة التأويل الفاسد التي تفتح أبواب الإلحاد والحرية المطلقة والإباحية ، وعدم التفريق بين الحق والباطل والكفر والإيمان وقد زاد من إنحراف التصوّف في الهند إختلاطه بعقائد الأديان والمذاهب السائدة هناك مثل : اليوغا والتنسّك والرهبنة المنتشرة بشكل خاص عند البراهمة والبوذيين .

وقد خصّص السرهندي جزءا واسعا من جهده في تفنيد عقيدة وحدة الوجود وعرض بدلاً منها فكرة وحدة الشهود ، وقد تحدّث في رسائله التي وجّهها إلى شيوخ عصره وأصحاب الزوايا مصوّرا هذا الوضع القائم : "لقد كثرت البدع والمحدثات في هذه الأيام كثرة فاحشة ، حتّى ليخيّل للناظر أنّ بحرا من الظلمات تتلاطم أمواجه ، وأنّ نور السنّة في هذا البحر الهائج المائج يتلألأ تلألؤ يراعات منتشرة في ظلمة الليل البهيم"[2].

[1] مرجع نفسه ، ص134.

[2] مرجع نفسه ، التحولات الفكرية في العالم الإسلامي ، ص136.

في هذا الجو القاتم راح الإمام يخلّص التصوف مماّ علق به من أوهام وخرافات كتفضيل الحقيقة على الشريعة والإنقياد لشيوخ الطرق وما يتصّل بالتصوّف من مفاهيم خاطئة من أحوال ومواجيد ، وعلوم ومعارف وشطحات.

وبيّن أنّ العمل بأحكام مقدّم على الحقيقة الباطنية والكشف لإصلاح النفس وإزالة الأمراض الباطنية إذ أنّ الشريعة أنفع وأصّح من الرياضات والمجاهدات وحارب مالازم التصوّف من مظاهر الشرك والعادات الجاهلية وتقليد الكفار في أعيادهم و طقوسهم ، وعلاوة على ذلك فقد وقف في وجه النذور وذبح القرابين للأولياء والصالحين ، ونهى عن سجدة التحيّة للملوك والسلاطين[1].

الفرع الثاني: دوره في مواجهة الإنحراف الدّيني .

يهدف السرهندي إلى الإصلاح وإعادة الناس إلى الإيمان الصحيح وتجديد الثقة بالإسلام ، وتخليصه مماّ شابه من إنحرافات عقائدية ويأتي على رأس هذه الجوانب :

❁ **فتنة القرن العاشر الهجري الكبرى** : وهي ترتبط بالإمبراطور جلال الدّين محمد أكبر، حفيد مؤسّس الإمبراطورية الماغولية ، الذي حكم الهند نحو نصف قرن ، وقد شغف الإمبراطور أكبر بالمناظرات الدينية ، لذلك فقد جمع في مجلسه العلماء من المذاهب والفرق المختلفة للنقاش معه في القضايا الدينية والفكرية ، فكان مجلسه يجمع السنّة والشريعة إلى جانب الهندوس وأهل الكتاب وقد إرتبط ببلاطه بعض علماء السلطان من ضعاف النفوس الذين كان لهم تأثير واضح في فكر السلطان الدّيني وعقيدته.

وقد كان للجانب السياسي دور مهم في عقيدة الإمبراطور أكبر ، فبلاطه كان مرتعا خصبا للشيعة وهذا يعود إلى أنّ والده الإمبراطور " هامايون "كان قد فقد السلطة ، ممّا إضطرّه الهرب إلى إيران التي كان يحكمها الشيعة الصفويّون ، فطلب منهم التأييد والمساعدة ، فساعدوه في إسترداد حكمه فأدّى هذا إلى تغلغل التشيّع في الهند[2] .

[1] مرجع نفسه ، ص136.

[2] مرجع نفسه ، ص 135.

وقد دفعت رغبة الإمبراطور "أكبر" في إحكام السيطرة على الهند إلى إستمالة الأغلبية الهندوسية فتزوّج عددا من الهندوسيات وعيّن كثيرا من الهندوس في المناصب الرفيعة.

وقد شاعت مع نهاية القرن العاشر الهجري فكرة مفادها أنّ بعثة محمد ﷺ كانت خاصة الألف سنة الأولى ، ممّايلزم قيام دين جديد مع بداية الألف الثانية ويبدوا أنّ الفكرة راقت للإمبراطور بتأثير من علماء البلاد ورغبة منه في صهر الأديان في الهند في دين واحد جديد ، أقرّ الإمبراطور دينا جديدا سمّاه " الدّين الإلهي "(سبق شرحه) وذلك بدمج بعض المبادئ الإسلامية بأساطير الهندوسية والبراهمية والمسيحية ، فجمع لهذا في بلاطه علماء من شتّى الديانات والفرق من الهند وإيران وبلاد ما وراء النهر، وإفتتح دار العقيدة التي شيدها ليفد إليها الزردشتيون والبوذيون والمسحييون وإستمع إلى معتقداتهم وآرائهم ، وجمع خلاصة ما سمع في دينه الجديد[1].

وفي سنة 1582م قرّر فرض "الدّين الإلهي"على الناس ، فأمر بالإحتفال بعيد النيروز وتزيين الشوارع والبيوت ، وكان من أسس هذا الدّين الجديد : تقديس الشمس والنار ، وإباحة زواج الأرامل وتحريم عادة حرق المرأة في حالة وفاة الزوج أوالطلاق ، وتحريم ذبح البقر، وتحليل أكل الخنزير، وقام بمنع الصلاة ومحاربة تدريس اللغة العربية ، ومنع الآذان في المساجد ، وإلغاء أسماء إسلامية مثل محمد وأحمد ، وعلاوة على ذلك فقد إعتبر نفسه سيّد البشر ، ولذلك فرض تمجيد الناس له ومناداته (الله أكبر) وقام بإلغاء التقويم الهجري ووضع بدلا منه التقويم الإلهي الذي يبدأ من تاريخ توليه حكم الإمبراطورية ولم يكن الإمام السرهندي – وهو المعروف عنه غيرته على الإسلام – أن ينأى بنفسه عن هذا الإنحراف الدّيني والفكري الذي شاع في الهند ، فانبرى يتصدّى لمحاربة العبث للمبادئ الإسلامية ومكافحة الإلحاد الذي فرضه الإمبراطور[2] .

وقد قيّضه الله تعالى للوقوف في وجه هذا الطغيان ، وهنا يبرز الدور التاريخي التجديدي وجهوده الإصلاحية ، وقد نجح في القضاء على فتنة (الدين الإلهي) وإسترداد ثقة المسلمين بدينهم الإسلامي الحنيف ومبادئه العظيمة ، وقد بذل كل ما يملك من طاقة وجهد في سبيل تغيير مسار الإمبراطورية

[1] مرجع نفسه ، ص135.

[2] مرجع نفسه .

الماغولية من الكفر والإلحاد إلى حماية الإسلام وعقيدته ، بعد ما وجّه الرسائل المؤثرة إلى العلماء من الأمراء ورجال البلاط لإنقاذ الإمبراطور " أكبر" وأعوانه من الضلال ، ودحض كافة الشبهات عن الإسلام وأحكامه ومعتقداته[1] .

الفرع الثالث : الطريقة النقشبندية عند السرهندي .

هي إحدى الطرق الصوفية تنسب إلى مؤسّسها بهاء الدّين محمد شاه نقشبند ، المتوفى بدمشق سنة (791هـ) وفي تعريف الطريقة يقول : " النقشبندية إنها دوام العبودية لله تعالى ظاهرا وباطنا بكمال الإلتزام بالسنّة ، وإجتناب البدع والرخصة في جميع الحركات والسكنات سواءا في العبادات أو العادات أو المعاملات وطرق الوصول إلى هذه الحالة من دوام العبودية لله تعالى في النقشبندية أربعة : أولها : صحبة الشيخ الكاملة ، وثانيها : الإرتباط به ، وثالثها : الإلتزام بما يتلقنه عنه ، وآخرها : الذكر بحيث يكون حاله هو حال الذاكر لله على الدوام .

وقد ظهرت الطريقة وراجت في أول الأمر بين المتحدّثين باللغة الفارسية ، ولذلك فقد كانت الكلمات الفارسية بها كثيرة قبل أن يهاجر الإمام الثالث خالد النقشبندي إلى دمشق مرسلا دعاته إلى البلاد العربية[2] .

وللطريقة النقشبندية شعبتان مشهورتان في بلاد الهند ، أحدهما الباقية : وهي للشيخ رضي الدّين أبي المؤيّد عبد الباقي بن عبد السلام النقشبندي الدّهلوي رضي الله عنه ، وثانيها العلائية : وهي للأمير أبي العلاء بن أبي الوفاء النقشبندي الأكبر آبادي ، أمّا الطريقة الباقية فهي أشهر الطرق النقشبندية ببلاد الهند ولها شعبتان : المجدّدية والأحسنية ، أمّا المجدّدية ويقال لها الأحمدّية وهي للشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي ، وهو أخذ عن الشيخ عبد الباقي المذكور ، ثم أفاض الله سبحانه عليه الطريقة الجديدة بعرضها وطولها فألقاها إلى الحضرتين وهما ولداه محمد سعيد و محمد معصوم ، وبيان ذلك لا

[1] مرجع نفسه ، ص 136.

[2] أبو سعيد المصري ، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي ، د د ، د ب ، د ط ، ج 15 ، د س ، ص 01 .

يليق لهذا المختصر فشاع طريقته في مشارق الأرض ومغاربها ، وعمّ هذه الأمّة برغائب فيوضه وغرائبها ، فلا ترى ناحية من نواحي المسلمين في بلاد الهند وخراسان وما وراء النهر من بلاد الترك والتتر إلى أقصى ثغر بالمشرق ، ثم أرض العراق والجزيرة وبلاد الحجاز والشام وقسطنطينية وما والاها ، إلاّ وقد نمى فيها طريقته ، وجرى على ألسنة أهلها ذكره ، وإليه ينتمون وبه يتبركون[1].

المطلب الثاني : جهوده في التجديد .

كان خطب الهند والإسلام أعظم من أن يقوم له الأقزام من رجال الدّين والمنتسبين إلى العلم ، فليست المسألة مسألة أفراد وجماعات أو مسألة بدع وخرافات ، إنّما هي مسألة إنحراف دولة من أعظم دول الأرض ، على رأسها رجل من أكبر ملوك العصر وحوله رجال من أعلم رجال الوقت ومن أذكاهم ، إنّها خطّة مدبّرة ومآمرة محكمة على الإسلام بينها أقوى الناس و أقدرهم ، إنّ الإنقلاب الدّيني كان يطلب رجلا عملاقا في العلم والشخصية وفي العقل والمواهب إنّه كان يحتاج إلى عبقري عظيم ومجدّد كبير يتجرّد لمقاومة هذا التيار العنيف الجارف فيحوّله من جهة إلى جهة ويغيّر مجرى التاريخ[2] . فإنّ لله في دينه شؤونا ومن شؤونه أنّه يخلق لكل عصر رجلا من رجال الإسلام ولكلّ عرض سهما من السهام التي لا تطيش ، فإنّ الله قد تكفّل بحفظ هذا الدّين القويم والذكر الحكيم ، لقد وجد هذا المصلح في شخص رجل يقال له الشيخ " أحمد بن عبد الأحد السرهندي " تخرّج في علوم عصره كما تخرّج أكبر عالم وبرع فيها ، وجمع إلى كفايته العلمية ودراسته المتقنة تربية الروح وتهذيب النفس والإخلاص لله ودوام الذكر وحضور القلب ، تخرّج في ذلك على يد شيخ كبير من شيوخ الطريقة النقشبندية ، الشيخ عبد الباقي البدخشي نزيل دهلي ، وإستعان به أبو الفيض الفيضي في ما إلتوى في كتاب (سواطع الإلهام) فرأى عنده القريحة الوقّادة والعلم الحاضر ، وعرضت

[1] عبد الحي الحسني ، الثقافة الإسلامية في الهند ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، د ط ، 2014م ، ص 164 .

[2] أبو الحسن علي الحسني الندوي ، الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها ، المجمّع الإسلامي العلمي ، ندوة العلماء لكهنؤ (الهند) ط3 ، 1406هـ/1986م ، ص11-12.

عليه المناصب في الدولة فرفضها لأنّه لم يخلق ليشارك في إدارة هذه الدولة الجائرة إنّما خلق ليقوّمها أويكسرها – إذا لم يستطع أن يقوّمها – وينشئ منها دولة إسلامية جديدة .

رأى الشيخ أحمد إتجاه الدولة ومعاداتها للدّين ومحاولة القضاء على الإسلام في هذه البلاد ، فإهتزت مشاعره و تكدّر صفو حياته وطار نومه ، وملكت هذه الفكرة عليه شعوره وعقله ، وأصبح لا يفكر إلاّ في إصلاح الحال ، والرجوع بالدولة إلى وضعها الإسلامي والمحافظة على مستقبل الإسلام في هذا القطر العظيم[1].

الفرع الأول : مأثرة الشيخ أحمد السرهندي و محافظته على الإسلام في الهند.

إتّجهت حكومة "أكبر" إلى اللادينية والإلحاد إتجاها سافرا ، وأراد " أكبر" – وكان من أكبر الملوك الذين عرفتهم الهند ، وأقواهم – أن يطمس على معالم الإسلام وملامحه الواضحة وميزاته البارزة بجميع ما عنده من وسائل ومواهب وطاقات ، وقد إجتمع عنده جمع من الأذكياء وذوي الكفاءات النادرة ، يعينونه على هذا الباطل ولم يكن هناك ضعف أو هرم في الدولة يشير إلى زوالها أو يدل على ثورة يتأجّج أوارها وكان العلم والمنطق والقياس الظاهر، لم يكن يصدّق أنّه سيقع هناك تغيير سار أو تحوّل بارز في الحكومة والشعب[2].

هنالك قيّض الله أحد عباده للإصلاح والتجديد ، فحمل راية الثورة بمفرده وبدأ في ثورة داخلية بقوة إيمانه ويقينه وعزمه وتوكله ، وروحانيته وإخلاصه ، حتّى أصبح كل وارث للحكم المغولي أحسن من سابقه ، ثم تربّع أخيرا على هذا العرش السلطان محييّ الدّين " أورنك زيب عالمكير" الملك الفاضل الصالح المسلم الغيور الذي يندر نظيره في تاريخ الحكومات الإسلامية .

وكان رائد هذه الثورة المباركة ، إمام الطريقة المجدّيدية الشيخ أحمد السرهندي[3].

---

[1] مرجع ننفسه ، الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها ، ص12-13.

[2] أبو الحسن علي الحسني الندوي ، ربّانية لارهبانية، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، ط01 ، 1386هـ/1966م، ص110.

[3] مرجع نفسه ، ربّانية لارهبانية ، ص110-111.

الفرع الثاني : تجديد الإيمان وإعادة الثقة بالنبوة المحمدّية: نقطة تجديد الإمام السرهندي وإصلاحاته الأساسية.

ولكنّ الواقع أنَّ عمله التجديدي الأساسي الذي تدور حوله سائر أعماله الإصلاحية والتجدّيدية ومنبعه الأصيل الذي تتفجّر منه ينابيع جميع مآثره الإصلاحية ، وتتحوّل إلى نهر يجري في العالم الإسلامي كله هو ذلك العمل الإصلاحي العظيم الذي تجلىّ في إعادة الثقة والإيمان إلى قلوب أبناء الأمّة الإسلامية بخلود الرسالة المحمدّية وحاجة الناس إليها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وترسيخ جذور هذه العقيدة المهمّة ، ولا أعلم أحدا من المجدّدين في التاريخ الإسلامي قام بهذا العمل على هذا النطاق الواسع وبهذه القوة والصراحة كما قام به الإمام السرهندي ولعلّ السبب في ذلك عدم مسيس الحاجة إليها في عهودهم ، وأنّه لم تبرز على المسرح في عصورهم فلسلفة أو حركة منظمة دقيقة كتلك التي ظهرت في عهده.

ونختم بما قاله الدكتور محمد إقبال بعد أن أثنى ثناءا كثيرا على الإمام السرهندي ، والإمام ولي الله الدّهلوي ، والسلطان محييّ الدّين عالمكير وقال: " إنّني أقول دائما إنّه لولا وجود هؤلاء وجهودهم الموفقة لذاب الإسلام في الدّيانة الهندوكية وحضارتها "[1].

الفرع الثالث : نجاح حركة الشيخ أحمد التجديدية من خلال الإجراءات التي قام لها الشيخ.

كان لبقاء الشيخ في القصر آثارا طيّبة ، فقد إستطاع أن يقنع الإمبراطور "جهانكير" بإلغاء كثير من البدع التي إستحدثها أبوه "أكبر" فأصدر بعد قليل أمرا ملكيا نصّ فيه على ما يأتي:

1)- تحريم السجود للملك .
2)- إباحة ذبح البقر وأكل لحمها .
3)- إعادة بناء المساجد المهدمة .
4)- إبطال القوانين المعارضة للشريعة الإسلامية .
5)- تعيين القضاة والمحتسبين في مختلف المدن الهندية.
6)- إصلاح الحكم .

[1] مرجع سابق، زهر البساتين من مواقف العلماء والربّانيين ، ج2 ، ص82.

والأمور الأخرى التي أحدثها أبوه ، وبذلك آتت حركة أحمد التجدّيدية أُكلها وعاد للمجتمع الإسلامي في الهند إطمئنانه وإنتهت حركة الإضطهاد لعلماء السنّة ، وبدأ المسلمون يحسّون الحرية التّامة في القيام بشعائر دينهم .

وكان من آثار جهود الشيخ السرهندي أيضا تلك النّهضة التي قادها شاه ولي الله الدّهلوي في المرحلة التالية. وحصل كل هذا بجهده وإجتهاده وصبره ومصابرته وتوجيهاته القيّمة وعدم إغفاله عن الفرد والمجتمع من جانب ومن الرعية والشعب والحكومة والسياسة من جانب آخر ومن الإدارة والتنظيم والتربية والتعليم الصحيح على المنوال النبوي والسلف الصالح بعيدا عن الإفراط والتفريط الذي وقع فيه بعض أهل الدنيا والهوى في الزي الديني وتسبّبوا في تغيير وتبديل وإساءة سمعة الإسلام ووجهه الأصلي[1].

- **الإجراءات التي قام بها الشيخ :**

1/- **إعلاء كلمة الحق في وجه الظالم** : لقد قام الشيخ السرهندي بإعلاء كلمة الله لمجاهرة الحق أمام الباطل ، إنتبه الشيخ للأمر في أوّل وهلة وجعل يراقب الأحوال عن كثب يعدّ العُدّة لمقاومة الفتنة الأكبرية ، ومحاربتها فقام بدعوة واسعة بين جميع طبقات الشعب وبعث مريديه إلى أمراء الجيش ورؤساء الدوائر ممّن أنس فيهم رشدا ومنهم خان خانان ، خان أعظم ، مرتضى جهان ، ينبهّهم من نوم الغفلة ويلفت أنظارهم إلى ما أتت به الفتنة الأكبرية من مصيبة وويلات وممّا جارته من وبال على المسلمين . فقد أصبح عصر الملك عصر البلاء والوباء والمحن للإسلام والمسلمين ، فأضطهد من أضطهد من عباد الله وحبس من حبس ، و الغريب أنّ كثيرا من العلماء لم يثبتوا في هذه المحنة والغالبية منهم إستسلموا لأمر الملك ولم يتحرّجوا من التوقيع على المحضر الذي إدعى الملك العصمة لوضع الشريعة ، وبعد وفاة "جلال الدّين أكبر" أقام الشيخ أياما في البلاط الملكي يعظ وينصح ويشدّد ويقارب ، وكان من إنتاج هذه المساعي والمواعظ البالغة أنّه رضي الملك بإلغاء البدع والمنكرات التي إبتدعها أبوه الطاغية "أكبر" فأصدر الملك بإلغاءها[2].

[1] مرجع سابق ، مقال التصوف والإصلاح السياسي .

[2] مرجع نفسه .

فأوّل ما إهتم به السيّد المجدّد إصلاح شأن الحكومة ورجالها والقائمين بأمرها والمتصرفين في شؤونها لأنهم هم العمدة إذا صلحوا صلحت البلاد كلها وإذا فسدوا فسد المجتمع برمته .

إنّه رأى بثاقب فكره أنّ كل ما تتابع من النوائب على المسلمين في عصره وجميع ما أصيبوا به من ذلّة في الدّين وهو أنّ الشعائر الكريمة إنمّا يقود بتعيينه على علماء السوء الذين تهافتوا على حكام الدّنيا الدنيئة، إشتروا بأوامر الله وسنّة رسوله ثمنا قليلا فشوّهوا سمعته فكان مثل السوء لأمّتهم وبني جلدتهم ، حتّى أصبح الناس يسيؤون الظنّ بالدّين نفسه فوقف الشيخ موقفا كريما وجاهد جهادا مشكورا للكشف عن عورات علماء السوء وجرّد قلمه للرّد على بدعهم وأباطيلهم التي إخترعوها وإبتدعوها من تلقاء أنفسهم ونسبوها إلى الدّين كذبا وزورا[1].

2/- **الجمع بين التربية و الجهاد** : لا شكّ أنّ الإنسان إذا نذر نفسه لميدان واحد وإستفرغ فيه وسعه وبذل فيه جهده فإنّه ينبغ فيه ويبدع و يجدّد ويخترع ، ولكن الجمع بين ميدانين من أصعب الميادين و أعقدها و أشقّها ، ثم النبّوغ فيهما وتجديدهما ، يعتبر إنجازا فريدا وعملا متميّزا ناهيك إذا كان الميدان منهما من ما تفنى الأعمار دون تحقيقه و تتصّرم الآجال دون إدراك عمقه ، كتربية الأجيال والسموّ بها من مرتبة الإنسانية المجرّدة إلى ذرى المقامات الإحسانية ، بل إنّ سوق الإنسان لنفسه الشخصية وذاته الآنية عبر مدارج الإيمان إلى مراقي الإحسان و مراتب العرفان ليعدّ ضربا من الكرامة وشعبة من المعجزة ، فكيف بمن لانت له نفوس مئات الآلاف ودانت وإنقادت له حتّى عبر بها تلك المفاوز وسلك بها تلك الفدافد فتخرّج على يده ألوف من الأولياء وآلاف من الصلحاء...وهو في كل ذلك يباشر الإصلاح السياسي والتغيير الإجتماعي حتّى إنصلح به حال البلاد و عادت إلى الإسلام من جديد بعد أن كان الإسلام بها على حافة الإنقراض ... ذلكم هو الإمام الربّاني مجدّد الألف الثاني أحمد الفاروقي السرهندي[2] .يقول الشيخ أبو الحسن الندوي(رحمه الله) ولكنّ الفضل الأكبر مقاومة إنحراف الدولة وضلالها ، ومعارضتها بقوة وتنظيم ، والجهود الموّفقة الحكيمة في إصلاحها وتقويمها يرجع إلى الإمام السرهندي الذي قيضه الله ﷻ لصيانة الدّين ونصر الإسلام والمسلمين ، و قدّر أن يناط به هذا العمل التجديدي العظيم ، الذي واصل ليله بنهاره في

[1] مرجع نفسه ، مقال التصوف والإصلاح السياسي.

[2] مرجع سابق ، مجددون في نظر المجدد.

إكمال هذه الخطّة التجديدية و إحداث تلك الثورة الصامتة الهادئة التي لم ترهق فيها الدماء وغيّرت مجرى التاريخ ، ولا يوجد لها نظير في تاريخ الدولة والبلاد الإسلامية الأخرى[1].

3/- نشر المعارف الإيمانية والحقائق الإحسانية :

وصف الإمام عبد السلام ياسين مكتوبات السرهندي بأنّها تحوي من أسرار الطريق ما لا تجده عند غيره ، ووصفها الشيخ عبد الحي الحسني الندوي بقوله : "وله مكتوبات في ثلاثة مجلدات ، وهي الحجج القواطع على تبحّره في العلوم الشرعية ، وفيها ما لا يتبادر إلى الأذهان لمن ليس لهم درك في مقامات العرفان ، وفيها من الأجوبة الوافية على إشكالات صوفية مستعصية ما تقرُّ به الأعين وتلهج به الألسن.

قال فيه وفيها الشيخ عبد المجيد بن محمد الخاني:" ولقد خصّه اللّٰهُ سبحانه وتعالى بفضيلة نشر العلوم اللدنية ، وبيان مراتب الولاية والنبوّة والرسالة وكمالات أولي العزم ودرجات الخلّة والمحبة وإظهار أسرار الذات والشؤون الإلهية بما لم يسبق إليه ، إلى أذواق شريفة غالية ومذاهب لدنية عالية ، لو لم يكن منها إلاّ رتبة تجديد الألف الثاني لكفى[2] .

المطلب الثالث :الإمام السرهندي بين مادحيه وناقديه .

الفرع الأول : المعجبون بالإمام السرهندي .

من أعيان الدولة وأمرائها ومراسلته معهم ، عدا هؤلاء الأمراء الذين تقدّم ذكرهم ممّن راسلهم الإمام السرهندي وبكى في رسائله ، دموعا غزيرة من الدّم على غربة الإسلام ومهانته وقلّة حيلته وإنتهاك حرمات الشعائر الإسلامية والأحكام الدينية وهوان المسلمين وإلجام ألسنتهم أن تنطق بالحق ووجّههم – بإستخدام مناصبهم الكبيرة ومكانتهم الخطيرة وخدماتهم العظيمة للدولة – إلى أن يلفتوا نظر السلطان إلى الأوضاع المتردّية وما يعاني الإسلام من غربة وأن يثيروا فيه عرقه الإسلامي الذي ورثه عن آبائه ويوقظ الحمية الدينية من سباتها ،عدا ذلك هناك رسائل إصلاحية تربوية أخرى – في عدد كبير- كتبها إلى عدد من كبار الأمراء وأركان الدولة وعالج فيها مواضيع التربية والسلوك ، وحلّ فيها

[1] مرجع نفسه.

[2] مرجع نفسه .

مشكلات الطريق وغوامض الفن وأرشدهم فيها إلى الزهد في الدنيا والرغبة عنها والشوق إلى نعيم الجنّة ، والإهتمام بتنوير الباطن وتزكية النفس ، وهذه الرسائل موجّهة إلى خان خانان و قليج خان الأندجاني الأكبري وخواجة جهان وميرزا داراب إبن خان خانان الجهانكيري وشرف الدّين حسين البدخشي ، ويقدّر من هذه الرسائل أنّ هؤلاء الأمراء الكبار كانوا يحبون الإمام ، ويجلّونه إجلالا كبيرا وهي مثل ما يكتب الشيخ المرشد إلى مريديه ومسترشديه ينبّههم على أخطائهم ، ويذكّرهم وينصحهم ويبدي سروره وإرتياحه على تقدّمهم في الدّين ، ورقيّهم في الإستعداد الروحي ، وصفاء الباطن وقوة النسبة[1] .

– فمّما قال عنه الأستاذ عبد السلام ياسين : " الإمام أحمد السرهندي محيّي السنّة ومميت البدعة ، وهو مربّي السالكين العارف بمداخل الوهن على الطالبين..."[2].

– قال فيه الشيخ مسعود الندوي :" ... وفوق كل ذلك أنّه جدّد السنّة سنّة الأئمة الهداة الصالحين المجاهدين في إحتمال الشدائد والثبات عند المحنة ، فبادئ أهل عصره من أمراء الدولة وأعيانها بما كان يراه حقا ، وأنكر على الملك تكبّره في أرض الله بغير الحق ، وما زلّت به قدم ، ألا وذلك الرجل هو الإمام العارف بالله الشيخ أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي الذي يلقّب بمجدّد الألف الثاني من الهجرة النبوية (على صاحبها أزكى التحيات وأعطرها) وحقّ له ذلك"[3].

– وقال فيه الشيخ محسن بن يحي البكري التّيمي في " اليانع الجني " : ولقد بلّغه الله سبحانه من الولاية منزلة لا يرام فوقها ، وهدى به بعده ثم بأصحابه من بعده خلقا لا يحصيهم إلاّ من أحصى رمل عالج عددا ، فلا ترى ناحية من نواحي المسلمين في بلاد الهند وخراسان وما وراء النهر من بلاد الترك والتّتر إلى أقصى ثغر بالمشرق ثم أرض العراق والجزيرة وبلاد الحجاز والشام وقسطنطينية وما والاها إلاّ وقد نمى فيها طريقته وجرى على ألسنة أهلها ذكره ، إليه ينتمون وبه يتبرّكون"[4].

الفرع الثاني : منتقدوه ومخالفوه .

[1] مرجع سابق ، رجال الفكر والدعوة ، ص287 – 288.

[2] مرجع سابق ، مجددون في نظر المجدد .

[3] مرجع سابق ، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، ص 98 – 99.

[4] مرجع سابق ، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ، ج5 ، ص 480.

وأمّا مخالفوه فمنهم الشيخ محمد صالح الأورنك آبادي ومحمد عارف وعبد الله السورتي من أصحاب الشيخ محمد صالح ، فإنّهم صوّروا سؤالا وذكروا فيه أقوالا وزعموا أنهم إستخرجوها من مكتوبات الشيخ أحمد ثمّ عرّبوها بقدر معرفتهم ومقتضى مرادهم وأرسلوها إلى السيّد محمد البرزنجي أحد مجاوري المدينة المنورة ، ثم بعد وصول ذلك السؤال إليه علّق رسالة بتكفير الشيخ أحمد بسبب الأقوال المكتوبة في السؤال بملائمة خاطر المرسل إليه وتصدّى لإثبات كفره بها وسأل قاضي المدينة المنورة ومفتيها وعلمائها أن يكتبوا على تلك الفتوى على وفق مراده ، فامتنعوا عن ذلك وردّوا عليه كلاما وأجوبة تليق بالعلماء العاملين لعلمهم ، ثم بعد ذلك أتى إلى مكة المشرّفة فسأل الكتابة على السؤال المذكور من قاضيها ومفتيها وعلمائها أيضا ، فما وافقه على ذلك أحد فأجابوه بقولهم :" هذا الأمر الذي إرتكبته عظيم ، فلا يوافقك في تكفير مسلم إلاّ كل هالك " وما وافقه بالكتابة من العلماء على ذلك إلاّ آحاد من الناس ممّن لا معرفة له بالطريقة وبعضهم وافقه لملائمة هواه ، وبعضهم لا علم له رأسا ولا حقيقة فحصل ما حصل من القيل والقال ، فاحتاج الناس إلى تتبّع مكتوبات الشيخ المذكور وتعريب ألفاظه من الفارسية إلى العربية على وجه يتضح الحق على الناس[1] ، ولذلك صرف الشيخ الأجلّ العالم الفاضل نورالدّين محمد بيك همّته العلّية وطلب جميع مكتوبات الشيخ وقابل الأقوال التي في ورقة السؤال مع مكتوبات المرحوم ، فوجد بعضها غير موافق معها بسبب التحريف وترك بعض الألفاظ وزيادة أخرى ، فكتب رسالة وبيّن فيها إصطلاحات السّادة النقشبندية ومقاصد الشيخ أحمد ، فعرّب ألفاظه إلى العربية وأحسن وإهتم وأتقن وإرتفع من أهل الحق سوء الظن وندم كثير ممّن كتب على السؤال المذكور ، وصحّحه الشيخ عبد الله الآفندي والشيخ أحمد الهشيشي والسيّد الأسعد المفتي المدني الحنفي والإمام علي الطبري المفتي الشافعي وعبد الرحمان بن محمد الصالح الإمام المالكي ومحمد بن القاضي الحنفي والشيخ الحسن الحنفي ومرشد الدّين بن أحمد المرشدي والسيّد محمد الآفندي والشيخ عبد الله الآفندي عناقي زاده .

ثمّ تصدّى لشرح كلماته الطيّبات الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي الدمشقي في رسالة : " نتيجة العلوم ونصيحة علماء المرسوم " ألّفها سنة إثنتي عشرة ومئة وألف ثمّ تصدّى للرّد على البرزنجي الشيخ فرخ شاه بن محمد سعيد السرهندي في رسالة سمّاها "كشف الغطاء عن وجوه الخطاء ". وممّن خالفه

[1] مرجع سابق ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، ج5 ، ص 481 .

الشيخ عبد الحق بن سيف الدّين البخاري الدّهلوي فإنّه ألّف رسالة في تعقّبه وأورد إيرادات شتّى على مقالاته فردّ عليه الشيخ عبد العزيز بن ولي الله العمري الدّهلوي والشيخ غلام علي العلوي الدهلوي وخلق كثير من العلماء والمشايخ.

وفي "كشف الغطاء " وقد رأيت بخط سند العلماء أفضل الفضلاء مولانا عبد الحكيم السيالكوتي في ردّ بعض شبهات المخالفين على كلامه – قدّس سره – هذه العبارة : " القدح في كلام الشيوخ على غير مرادهم جهل وعاقبته وخيمة ، فرّد كلام الشيخ الأجل العارف الكبير الشيخ أحمد إنما هو من السفاهة وقلّة الفهم ، كتبه الفقير عبد الحكيم "[1].

الفرع الثالث : التقييم (الترجيح).

إنّ الإمام السرهندي (رحمه الله) يستحق أن يوصف بمجدّد الألف الثاني وعن جدارة لأنّه إستعاد الهند إلى راية الإسلام وحفظها من الإرتماء في حضن البرهمية ، ووجّهها إلى لواء محمدﷺ لوصاية الإسلام وحمايته ، كما أنّه هو الذي شقّ الطريق أمام النّاس في فترة القرن الحادي عشر الهجري الحرجة الشائكة المليئة بالفتن والأخطار ، وهيّأ الجو الملائم وغيّر مجرى الأحداث للعمل الإسلامي العظيم ، وأيقظ النائمين ونبّه الخاملين ، ونفخ في جسم الأمّة الإسلامية الهامدة روحا جديدة وعاطفة فيّاضة ، وربّى أمّة سهرت على الدّين والحفاظ عليه ، وحفظت بلوعة قلبها وحرارة نفسها ، ونوّر باطنها شعلة الإيمان واليقين مضيئة ملتهبة ،وإستمرت هذه الشعلة تنتقل من جيل إلى جيل ،تلهب النفوس وتضيء القلوب ، ولم تعد الجاهلية والكفروالشرك والوثنية ، والمنكرات والبدع تنشر جناحها الأسود المظلم ، وظلّها الكثيف الثقيل على المجتمع الإسلامي الهندي كما نشرته في القرن العاشرالهجري ، وحقّ لمن إنتمى إليه – مباشرة أو بواسطة – أن يقول في ثقة وإعتزاز :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع[2]

ويمكن أن نستخلص هذا كله فيما قاله عنه صاحب نزهة الخواطر فوصفه بأنّه : بحر الحقائق والأسرار والمعارف ، محيّي السنن النبوية ، ناصر الشريعة البيضاء السنّية ، مشيّد مباني الطريقة ، مجدّد معالم

[1] مرجع نفسه ، ص482.

[2] مرجع سابق ، الإمام السرهندي حياته وأعماله ، ص 332 – 333.

الحقيقة ، برهان العارفين والمحقّقين ، وحجّة الأولياء المتّقين ، مفتخر الأعصر والدّهور ، ومعتمد الفارغين إليه في جلّ الأمور ، آية من آيات الله العظام ، ونادرة من نوادر الأيّام ، الذي أخذ بيد العلم لمّا زلّت به القدم ، وكاد أن يهوي في مهاوي العدم ، حتى جاء مجدّدا للألف الثاني ، وبرهانا ساطعا على أشرفية النوع الإنساني[1].

- **نجاح الإمام السرهندي في مهمته وأهدافه** : وهكذا إستطاع رجل وحيد بقوة إرادته وصدق عزيمته وإيمانه القوي ومعرفته بقيمة نفسه وإحتفاظه بقوته ، وإبائه من أن ينفقها فيما لم تخلق له وما لا يعود على الإسلام بطائل ، وتجرّده للدعوة وتركيز جهوده كلها على إنهاض الإسلام من كبوته في هذه الديار ، لقد إستطاع هذا الرجل بهذا التوفيق أن يحدث إنقلابا في الحكومة وإتجاهها وإستطاع أن يقضي على عقيدة وحدة الوجود التي تغلغلت في أحشاء التصوّف والأدب والشعر ، وعلى فكرة إستقلال الطرق عن الشريعة ، وعلى كثير من العقائد والأفكار والعادات التي ترسّبت إلى المسلمين من الجاهليات المختلفة[2].

كما إستطاع أن يعيد إلى الإسلام مركزه من جديد في الهند ويعيد إلى السنّة إعتبارها ويعيد في المسلمين الثقة في المصادر الصحيحة وبالكتاب والسنّة ، وأن يكون للإسلام إنتفاضة في الأقطار الإسلامية من شبه القارة الهندية إلى أفغانستان وتركستان إلى العراق وسوريا وتركيا ، وينهض جيل جديد من دعاة الإسلام الصحيح والعقيدة السليمة البعيدة من شوائب الفلسفات والإنحرافات وتأثير الديانات والحضارات الجاهلية ، ونشأت جبهة قوية واعية لمعارضة البدع والمحدثات ، ودعوة سافرة إلى العمل بالشريعة المطهّرة والسنّة السنّية البيضاء وإقبال عام على الإنابة إلى الله وتزكية النفوس وتهذيب الأخلاق وتجديد صلة العبودية بالله تعالى في ضوء الكتاب والسنّة[3].

[1] مرجع سابق ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، ج5 ، ص 479.

[2] مرجع سابق ، الدعوة والدعاة مسؤولية وتاريخ ، ص 36 – 37.

[3] أبو الحسن علي الحسني الندوي ، منهج أفضل في الإصلاح للدعاة والعلماء ، المجمع الإسلامي العلمي ـ ندوة العلماء ، لكهنو(الهند) ، د ط ، د س ، ص31-32.

خاتمة

خاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، فله الحمد في الأولى والآخرة ، والصلاة والسلام على رسول اللهﷺ وآله وصحبه ، أمّا بعد :

في خاتمة هذا البحث الذي تمحور حول شخصية الشيخ أحمد السرهندي وجهوده الدعوية والذي آمل أن أكون قد وفّقت فيه كل التوفيق ، ورددت لهذا العلَم بعض حقّه علينا ، وإفتتحت لزملائي من بعدي باب إثارة موضوعات أخرى ذات صلة بالشيخ السرهندي .

- يمكن بيان أهم النتائج التي توصلت إليها في النقاط التالية :

1/- أنّ الدعوة إلى الله مهمّة شاقة وهي من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله عزّ وجل ووعد القائمين بها بالأجر العظيم والثواب الجزيل في الدنيا والآخرة .

2/- أنّ الإمام السرهندي يستحق أن يوصف بمجدّد الألف الثاني وعن جدارة لأنّه رفع راية الإسلام في الهند ونصر دين الله الحقَّ فيها في زمن شاعت فيه كل أنواع الشرك والمنكرات .

3/- قام بإعادة الحكّام الهنود إلى رحاب الشريعة والمحافظة على الوجود الإسلامي في القارة الهندية .

4/- ردّ ثقة المسلمين بدينهم وعقيدتهم بعدما شاعت الفوضى والأوهام وتسبّبت في إبراز صورة سلبية عن الإسلام ومبادئه الحنيفة .

5/- دحض أكبر محاولة في تاريخ الهند للتلفيق بين الأديان ، وتغليب المفاهيم الوثنية على مبادئ التوحيد ، وهو ما كان يهدف إلى القضاء على الإسلام .

6/- قام بتطهير التصوّف من الأفكار الإلحادية والإباحية التي تسرّبت بتأثيرالزنادقة والدجّالين من أدعياء التصوّف .

7/- قام بتثبيت أقدام الإسلام المتزلزلة في الهند ، وإزالة آثار الكفر ومعالم الضلال التي خلّفها عهد " أكبر" المظلم.

8/- قام بتجدّيد الدّين والإيمان في قلوب المسلمين بالهند في زمانه ،وبتنوير العقول وتهذيب النفوس ، إلى جانب محاربته للبدع والخرافات .

9/- لقد إستخدم الإمام السرهندي قلمه البليغ لإقناع العقول وتغيير القلوب بدل إشهار السيوف لإزاحة الهامات وقطع الرؤوس .

10/- إمتازت دعوة الإمام السرهندي بالشمول والتنوّع فشملت قطاعات المجتمع المختلفة : العوام ، والعلماء ، والوزراء ، والأعيان ، والحكاّم ، وسائر الفئات المختلفة .

وفي الختام أرجوا أن يكون هذا العمل مبادرة طيّبة تفتح الباب أمام دراسات أخرى في هذا المجال تكون أعمق وأكثر نضجا حول الإمام السرهندي لنوفيه حقّه والتعريف به على أكمل وجه .

﴿ **ذَلكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَآءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ** ﴾ [سورة الجمعة : 04]

۞ وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ۞

الملاحق

ملحق:01

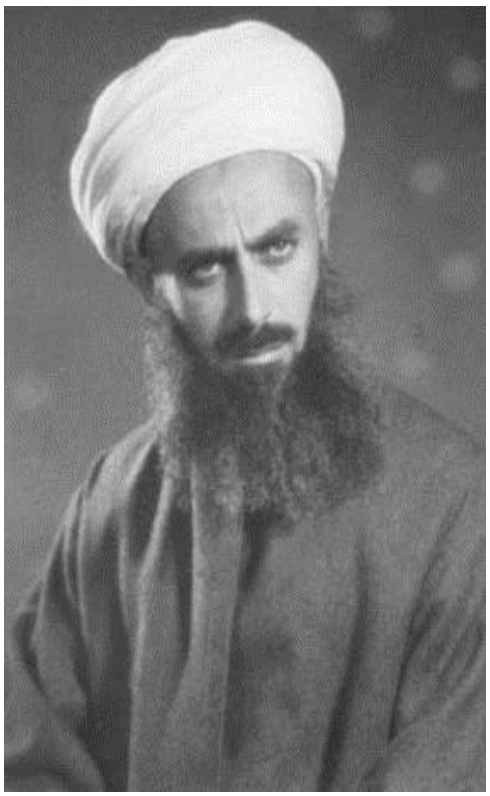

صورة السرهندي وعمره 45 سنة

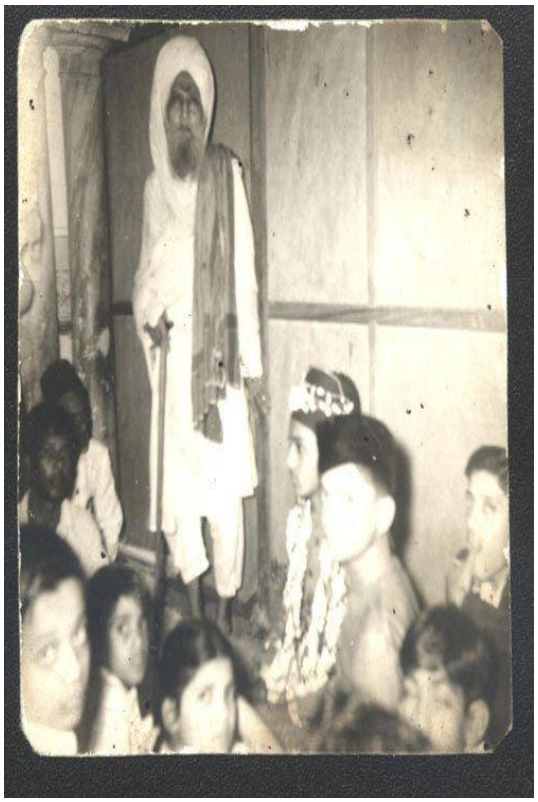

صورة السرهندي وهو يدرس الأطفال القرآن

ملحق:02

مقام الشيخ أحمد السرهندي

مسجد الشيخ أحمد السرهندي

ملحق:03

زاوية و مسجد و مقام الشيخ أحمد السرهندي

مقام الشيخ أحمد السرهندي

الله

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآية أو شطرها	السورة ورقمها	رقم الآية	الصفحة
﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ ...﴾	سورة البقرة(2)	221	27
﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ... ﴾	سورة يوسف(12)	39	13
﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ...﴾	سورة فصلت(41)	34	40
﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَآءُ ... ﴾	سورة الجمعة (62)	04	61
﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ...﴾	سورة العصر(103)	03	40

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
﴿إنّ الله عزّ وجلّ يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها﴾	31
﴿إنّ من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر﴾	28

فهرس الأبيات الشعرية

طرف البيت	الصفحة
ألا نفوس أبيّات لهم همم...	30
أولئك آبائي فجئني بمثلهم...	57
إنّ الملوك لتحكم على الورى...	39

قائمة المصادر والمراجع :

أولا : القرآن الكريم : (برواية حفص عن عاصم).

ثانيا : مؤلفات السرهندي :

1- أحمد الفاروقي السرهندي ، مكتوبات إمام رباني ، وقف الإخلاص ، تركيا ، د ط ، ج1 ، 1423هـ-2002م .

2- أحمد الفاروقي السرهندي ، مكتوبات إمام رباني ، وقف الإخلاص ، تركيا ، د ط ، ج2 ، 1423هـ-2002م .

3- أحمد الفاروقي السرهندي ، إثبات النبوّة ، وقف الإخلاص ، مكتبة الحقيقة ، تركيا ، د ط ، 1422هـ -2002م .

ثالثا : المعاجم والقواميس :

1- إبن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار الجيل ، د ط ، ج28 ، بيروت ، 1458هـ/1988م .

2- مجمّع اللغة العربية ، معجم الوجيز ، د ط ، د س.

3- يوسف محمد البقاعي ، قاموس الطلاّب ، دار المعرفة ، د ط ، المغرب ، 2005م .

رابعا : كتب أخرى :

1- أبو الحسن علي الحسني الندوي ، الإمام السرهندي حياته وأعماله ، رجال الفكر والدعوة ، دار القلم للنشر ، الكويت ، ج3 ، ط2 ، 1414هـ/1994م .

2- أبو الحسن علي الحسني الندوي ، الدعوة الإسلامية في الهند و تطوراتها ، المجمّع الإسلامي العلمي ، ندوة العلماء لكهنؤ (الهند) ، ط3 ، 1406هـ/1986م .

3- أبو الحسن علي الحسني الندوي ، ربّانية لارهبانية ، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1386هـ/1966م .

4- أبو الحسن علي الحسني الندوي ، منهج أفضل في الإصلاح للدعاة والعلماء ، المجمّع الإسلامي العلمي ، ندوة العلماء ، لكهنو(الهند) ، د ط ، د س .

5- أبو الحسن علي الحسني الندوي ، أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية ومدارسها الفكرية ومراكزها التعليمية والتربوية في الهند ، المجمّع الإسلامي العلمي ، لكهنو (الهند) ، د ط ، 1416هـ/1995م .

6- أبو الحسن الندوي ، الدعوة والدعاة مسؤولية وتاريخ ، د د ، د ب ، د ط ، ذو القعدة 1408هـ/يوليو1988م .

7- أبو الحسن علي الحسني الندوي ، من أعلام المسلمين ومشاهيرهم ، دار إبن كثير ، دمشق- بيروت ، ط1 ، 1423هـ/2002م .

8- أبوسعيد المصري ، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي ، د د ، د ب ، د ط ،ج15 ، د س.

9- آرنلند ، الدعوة إلى الإسلام ، د د ، د ب ، ط3 ، د س .

10- خير الدين الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ،ج7 ، ط15 ، آيار2002 م .

11- سيّد بن حسين العفّاني ، زهر البساتين من مواقف العلماء والربّانيين ، دار العفّاني ، القاهرة ، ج2 ، د ط ، د س .

12- عبد الحي الحسني ، الثقافة الإسلامية في الهند ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، د ط ، 2014م .

13- عبد الحي بن فخر الدّين الحسني ، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ، دار بن حزم ، بيروت ، ط1 ، 1420هـ/1999م .

14- عبد العزيز البدري ، الإسلام بين العلماء والحكّام ،المكتبة العلمية ،المدينة المنورة ،د ط ،د س.

15- عبد السلام ياسين ، الإحسان ، مطبوعات الأفق ، الدار البيضاء ، ط1 ، ج2 ، 1998- 1999م .

16- عليان الجالودي ، التحولات الفكرية في العالم الإسلامي، أعلام وكتب، وحركات وأفكار من القرن العاشر إلى الثاني عشر الهجري ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الأردن ، د ط ، 1435هـ/2014م ، الباب الأول الأعلام ، الفصل السابع لسهيل الفتياني.

17- علي محمد محمد الصلاّبي،فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم ،د د ،د ب ،د ط ،د س.

18- عدنان محمد آل عرعور، منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر ، د د ، د ب ، ط1 ، 1426 هـ/ 2005م .

19- فهد بن حمود العصيمي ، الدعوة إلى الله (أهميتها ووسائلها) ، دار بن خزيمة ، د ط ، مصدر المادة الكتيبات الإسلامية ، د س .

20- محمد الغزالي ، مع الله ، دراسات في الدعوة والدعاة ، دار النهضة ، ط 6 ، مصر ، 2005م.

21- محمد أبو الفتح البيانوني ، مدخل إلى علم الدعوة ، مؤسسة الرسالة ، ط 3 ، د ب ، 1415هـ/1995م .

22- مسعود الندوي ، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ، دار العربية ، بيروت ، د ط،د س.

23- محيّ الدّين الألوائي ، الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ، رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر ، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 1406هـ/1986 م .

24- هشام النّجار ، سوريا والتحولات الكبرى : مشكلات الوطن .. ومستقبل العرب ، دار سما للنشر والتوزيع ، د ب ، د ط ، د س .

خامسا : المقالات والمجلاّت .

1- مقال التصوف والإصلاح السياسي على يد الشيخ أحمد السرهندي ، للدكتور إكرام الحق الأزهري ، د ع .تاريخ وساعة الإطلاع :يوم 2017/02/06 على الساعة10:20 صباحا.

2- مقال الأستاذ عبد السلام ياسين بعنوان مجدّدون في نظر المجدّد : الإمام السرهندي ، مدرسة الإمام المجدّد عبد السلام ياسين ، د ع ،https://yassine.net.ar 2015/01/16 . تاريخ وساعة الإطلاع :يوم 2017/02/12 على الساعة 21:05 ليلا.

3- مجلّة الصحوة الإسلامية ، مجلّة إسلامية ثقافية شهرية ، تصدرمن جامعة دار العلوم زاهدان-إيران ، مقال لعبد الرؤوف الرخشاني ، شخصيات إسلامية ، شوال 1434هـ ، د ع ، https://www.facebook.com/alsahwah.magazine تاريخ وساعة الإطلاع :يوم 2017/02/06 على الساعة 12:09 زوالا.

سادسا : المواقع الإلكترونية .

1- صفحة رجال المجد الضائع ، صفحة تاريخية علمية بإدارة فريق من المتخصصين (أحفاد رجال المجد) https://memoflostglory.word-press.com2014/06/24 . تاريخ وساعة الإطلاع :يوم 2017/02/11 على الساعة 19:43 مساءا.

2- موقع شمس الشموس ، الإمام الربّاني أحمد السرهندي ، إعداد زاهر عطايا السعدي ، www.alhaqqani.com https:// تاريخ وساعة الإطلاع :يوم 2017/02/11 على الساعة 17:10 مساءا.

3- موقع أهل الصفا https://site.google.com/site/sufi-true 2012/05/26.تاريخ وساعة الإطلاع :يوم 2017/02/06 على الساعة 10:20 صباحا.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
شكر وعرفان	
الإهداء	
ملخص البحث	
Research summary الملخص باللغة الأجنبية	
قائمة الرموز والإشارات	
مقدمة	أ
الفصل الأول :الحياة الشخصية للشيخ أحمد السرهندي	8
المبحث الأول : التعريف بالإمام السرهندي	9
المطلب الأول : مولده ونشأته	9
الفرع الأول : إسمه ومولده	9
الفرع الثاني : نسبه وأسرته	9
الفرع الثالث : نشأته	10
المطلب الثاني : المحن التي تعرض لها الشيخ	11
الفرع الأول : سجنه وأسباب إعتقاله في حصن كواليار	11
الفرع الثاني : الإقامة الجبرية في قلعة كواليار	13
الفرع الثالث : إحياء سنّة سيّدنا يوسف عليه السلام في سجن كواليار	13
المطلب الثالث : عصره والأوضاع التي نشأ فيها	14
الفرع الأول : مفترق صعب خطير في تاريخ الهند الإسلامي	14
الفرع الثاني : الوضع الديني والروحي في الهند في القرن العاشر الهجري	15
الفرع الثالث : الوضع العلمي والسياسي في زمانه	16

المبحث الثاني : حياته العلمية	
المطلب الأول : طلبه للعلم ومراحل تكوينه	17
الفرع الأول : طلبه للعلم	17
الفرع الثاني : نشأته العلمية	17
المطلب الثاني : شيوخه وتلاميذه	18
الفرع الأول : شيوخه	18
الفرع الثاني : تلاميذه	18
المطلب الثالث : ثناء العلماء عليه ، وفاته	19
الفرع الأول : ثناء العلماء عليه	19
الفرع الثاني : وفاته	21
المبحث الثالث : آثاره وأهم إنجازاته	21
المطلب الأول : آثاره العلمية ومؤلفاته	21
المطلب الثاني : أهم إنجازاته ومواقفه في مسيرته الدعوية	22
الفصل الثاني : الجهود الدعوية للشيخ أحمد السرهندي	26
المبحث الأول : مفهوم الدعوة ومنهج السرهندي فيها	27
المطلب الأول : تعريف الدعوة لغة وإصطلاحا	27
الفرع الأول : تعريف الدعوة لغة	27
الفرع الثاني : تعريف الدعوة إصطلاحا	27
المطلب الثاني : منهج السرهندي في الدعوة إلى الله تعالى	28
الفرع الأول : منهجه للوصول إلى مرحلة التمكين	29
الفرع الثاني : منهجه في الإصلاح والتجديد	31
المبحث الثاني : الأساليب والوسائل التي إنتهجها السرهندي في الدعوة إلى الله	33
المطلب الأول : الأساليب التي إنتهجها في الدعوة إلى الله	33

الفرع الأول : محاربة البدع والعقائد الشركية	33
الفرع الثاني : الدعوة الفردية	35
الفرع الثالث : البعد عن السياسة	37
الفرع الرابع : تجديد الإيمان في القلوب	38
المطلب الثاني : الوسائل التي إتبعها في دعوته إلى الله	39
الفرع الأول : المكاتبة والمراسلة	41
الفرع الثاني : إرسال البعثات والوفود من الدعاة والمصلحين	42
الفرع الثالث : وسيلة التدريس والتصنيف	42
المبحث الثالث : الجهود الإصلاحية والتجديدية للسرهندي	43
المطلب الأول : جهوده في التصوف والسلوك	45
الفرع الأول : جهوده في إصلاح التصوف	45
الفرع الثاني : دوره في مواجهة الإنحراف الدّيني	46
الفرع الثالث : الطريقة النقشبندية عند السرهندي	48
المطلب الثاني : جهوده في التجديد	49
الفرع الأول : مأثرة الشيخ أحمد السرهندي ومحافظته على الإسلام في الهند	50
الفرع الثاني : تجديد الإيمان وإعادة الثقة بالنبوة المحمدية	50
الفرع الثالث : نجاح حركة الشيخ أحمد التجديدية	51
المطلب الثالث :الإمام السرهندي بين مادحيه وناقديه	54
الفرع الأول : المعجبون بالإمام السرهندي	54
الفرع الثاني : منتقدوه ومخالفوه	55
الفرع الثالث : التقييم (الترجيح)	57
خاتمة	60
الملاحق	62
الفهارس	66

فهرس الآيات القرآنية	67
فهرس الأحاديث النبوية	67
فهرس الأبيات الشعرية	67
قائمة المصادر والمراجع	68
فهرس الموضوعات	71

الحمد لله